الجامعـــــــة الإســــلاميـــــة بغـــــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليـــــا
كليـــــــــة أصـــــــــول الديـــــــــن
ماجستيـــــر التفسيـــــر وعلـــــوم القرآن

The Islamic University of Gaza
Deanship Research & Postgraduate Studies
Faculty of Ossoul El Deen
Master of Interpretation & sciences of the Qur'an

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة آل عمران
(دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational Directives and Methods Derived from Surat Alamran
(A Study of Quranic Subjectivity)

إِعدَادُ البَاحِث

محمد كامل حمدان أبو عريس

إشراف

الدكتور

زهدي محمد أبو نعمة

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِير فِي تفسير القرآن وعلومه بكلية أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

أكتوبر/2020م– صفر/1442هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة آل عمران (دراسة موضوعية تطبيقية)

Educational Directives and Methods Derived from Surat Alamran (A Study of Quranic Subjectivity)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة أنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University’s policy on this.

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد كامل حمدان أبو عربس	اسم الطالب:
Signature:	محمد كامل حمدان أبو عربس	التوقيع:
Date:	سبتمبر، 2020م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref
التاريخ 2020/10/25م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد كامل حمدان أبوعربس** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة أل عمران
{دراسة موضوعية تطبيقية}

Educational directives and methods derived from Surat alamran
{A study of Quranic subjectivity}

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاحد 8 ربيع الأول 1442**هـ الموافق **2020/10/25**م الساعة **التاسعة والنصف صباحاً**، في **قاعة اجتماعات كلية أصول الدين** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. صبحي رشيد اليازجي	**مناقشاً داخلياً**	....
د. فايز حسان أبو عمرة	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا

ملخص الدراسة

هدف الرسالة: هدفت الرسالة إلى معرفة التوجيهات التربوية وأساليبها في ضوء سورة آل عمران.

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وفصلين وخاتمة؛ الفصل الأول بعنوان التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة آل عمران، والفصل الثاني الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية المستبطة من سورة آل عمران

أهم نتائج الدراسة:

1. التعرف على التوجهات التربوية وأساليبها يعين القارئ على استلهام الدروس والعبر وتحقيق الفائدة.
2. ارتباط الإيمان بالتقوى لا يكون إلا بالطاعة والتصديق لما جاء به الرسول، والعمل بمحكم الكتاب من واجبات المؤمن.
3. الإسلام دين الله تعالى، وهو الدين الذي جاء به الرسل جميعاً، وبيان حقيقة اليهود وقبح أعمالهم فيما نسبوه إلى الله.

أهم التوصيات:

1. يوصي الباحث طلبة العلم وعلماء التربية في اعتماد التوجيهات التربوية أساسًا في تربية الجيل.
2. يوصي الباحث العاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى الاهتمام بالناشئة وتربيتهم على فهم القرآن وتدبر معانيه.
3. يوصي الباحث أولياء الأمور بمتابعة أبناءهم وتوجيههم لتعلم القرآن ومدارسته ليصبحوا جيلاً فريداً في علمه وتعلمه.

Abstract

The study aimed at knowing the educational directives and methods of Surat Al Imran.

This study included an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter is titled educational directives considering Surat Al Imran, and the second chapter deals with the methods contained in the educational directives of Surat Al Imran.

The most important results of the study:

1. Knowing the educational trends and their methods helps the reader to draw inspiration from lessons and to achieve benefit.
2. The association of faith with piety can only be done through obedience and assurance of what the Messenger brought and acting according to Quran are the duties of the believer.
3. Islam is the religion of Almighty Allah, and it is the religion that all messengers brought, and the truth about the Jews and the ugliness of their deeds as they attributed them to Allah.

Recommendations:

1. The researcher recommends students of religious studies and researchers to explore and research educational approaches and methods from the Holy Qur’an.
2. The researcher recommends those working in the field of calling to Allah to pay attention to young people and educate them to understand the Qur’an and absorb its meanings.
3. The researcher recommends that parents follow up their children and direct them to learn and study the Qur’an so that they become a unique generation in its knowledge and learning.

بِسْمِ الله الرَّحْمن الرَّحيم

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[آل عمران: 159]

الإهدَاْء

إلى قدوة الناس أجمعين إلى رسول الله ﷺ

إلى روح والدي الشهيد أبو حمدان

إلى أمي الحبيبة التي ربتني فأحسنت تربيتي

إلى زوجتي العزيزة وأبنائي (عبد الرحمن، ياسين، ياسمين، سليمان)

إلى إخواني وأخواتي وعائلتي الكريمة

إلى شهداء فلسطين الحبيبة الذين رووا بدمائهم ثرى هذا الوطن

إلى أسرانا البواسل في سجون الاحتلال الصهيوني

إلى اساتذتي الكرام ومشايخي الأفاضل

إلى من تعلمت بها... وفتحت أفاق عقلي وفكري الجامعة الإسلامية

أهدي لكم جميعاً هذا العمل......

الباحث/ محمد كامل حمدان أبو عربس

شكرٌ وتقدير

الحمد لله رب العالمين أحمده على فضله وإحسانه، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد ﷺ وعلى آله الطيبين المباركين وعنا معهم بمنك وكرمك ياأكرم الأكرمين.

إلى صاحب القلب الكبير، والنفس الطويل والعلم الوفير، إلى من غمرني بعطفه ورعايته فكان لي كالأب واسع الصدر، حسن الإرشاد، والذي أشهد الله أنَّه ما قصر معي طيلة البحث في هذه الرسالة من خلال الإتصال والتواصل المستمر حتى هذه اللحظة إلى **سعادة الأستاذ الدكتور: زهدي محمد أبو نعمة** المشرف على هذا البحث، إلى أساتذة كلية أصول الدين الذين لم يألوا جهداً في مساعدتي.

كما وأتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذيّ الكريمين اللذَين تكرما بالموافقة على مناقشة هذا البحث وسوف آخذ ملاحظتها بعين الاعتبار وهما :

فضيلة الأستاذ الدكتور: صبحي رشيد اليازجي.

وفضيلة الدكتور: فايز حسان أبو عمرة.

سائلاً المولى ﷻ أن يجعل ما يقدموه لطلبة العلم في موازين أعمالهم يوم القيامة.

ثم لايفوتني أن أخص بالشكر جميع أفراد أسرتي الذين كان لمساندتهم أعظم الأثر في الدأب والمثابرة وتحمل مشاق الدراسة والبحث، وختام شكري وخالصه من قبل ومن بعد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على خير الخلق أجمعين سيدنا محمدﷺ.

الباحث/ محمد كامل حمدان أبو عربس

فهرس المحتويات

بِسْمِ اللّه الرَّحْمنِ الرَّحيِمِ

المقدمة

الحمد الله خلق الخلق فأبدعه وأحكمه، وأنزل الكتاب فبيّنه وعلّمه، وفقّه في آياته من اصطفاه وأكرمه، والصلاة والسلام على إمام المتقين، وخير الأنبياء والمرسلين وسيد ولد آدم أجمعين نبينا محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ كتاب الله تعالى العظيم هو دستورنا وجامع أمر إيماننا، فيه صلاح الدنيا وسعادة الآخرة, وفيه هداية النفوس الظامئة دوماً إلى الهدى والمحاذرة من الردى، إليه يلجأ العابدون في جنح الليالي والقضاء فيما شجر بين الناس من اعتساف أو خلاف طلبا للحق والإنصاف، وإليه يركن طلاب الحكمة والرشاد مع آياته التي تترى في منحها وينتهي الزمان ولا ينقضي عجبها.

ولمَّا كانت كل سورة من سور القرآن تحتوي على الكثير من التوجيهات التربوية بأساليب متعددة، كان موضوع دراستي في إحدى سور القرآن، وهي سورة آل عمران، لِنستقي من عذبِ فوائدها وهداياتها.

وفي ضوء ما عرضته السورة من قضايا تربوية عديدةٍ ومتنوعةٍ، في جوانب الحياة كافَّة: كالجانب العقدي، والتعبُّدِي، والدعوي، والجهادي، كانت دراستي بعنوان: **(التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة آل عمران – دراسة موضوعية تطبيقية).**

أولاً: أهمية اختيار الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة منها:

1. استخراج واستلهام العبر والعظات، والحقائق والهدايات من سورة آل عمران، التي تعتبر مصدراً أساسياً في تربية الفرد المسلم.
2. بيان التوجيهات التربوية في سورة آل عمران، وربط ذلك بواقع حياتنا المعاصرة؛ ليتضح دورها في التربية العقدية والتعبدية والدعوية والجهادية للجيل المؤمن.
3. تستند هذه الدراسة إلى القرآن الكريم ابتداء، لاسيما أنه منهج حياة، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما يعني أنها صادقة في نتائجها ومخرجاتها، بخلاف كثير من الدراسات التربوية التي تفتقر إلى ما تستند إليه.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

هناك أسباب عدة لاختيار الموضوع أبرزها:

1. المساهمة في خدمة كتاب الله تعالى من خلال البحث في الموضوعات القرآنية، والتي ترسخ مبادئ وقيم وتوجيهات تربوية يستفيد منها المسلم.
2. احتواء سورة آل عمران على كثير من التوجيهات التربوية التي لها دور عظيم جداً في تربية وتوجيه الفرد المسلم.
3. إبراز الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان انسجام الموضوع الأساسي بها مع المحاور الفرعية.
4. تشجيع أساتذتي في كلية أصول الدين أ.د زهدي أبونعمة للبحث في هذا الموضوع والخوض في غماره.

ثالثا: أهداف البحث وغاياته

توجد عدَّة أهداف لهذا البحث، منها:

1. التشرف بخدمة القرآن الكريم، من خلال البحث في موضوع من موضوعاته، وفتح مجالات وآفاق جديدة أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة لهذا الموضوع.
2. علاج كثير من مشكلات الواقع المعاصر من خلال ربطها بالقرآن الكريم وهداياته.
3. إثراء المكتبة الإسلامية لبيان وجوه الإعجاز التي أشارت إليها السورة.

رابعاً: الدراسات السابقة

بعد البحث في فهارس المكتبات الاسلامية لم يجد الباحث رسالة علمية محكمة بهذا الاسم، لكن قد يوجد دراسات متشابهة، وقد اعتمدت كلية اصول الدين مشروعاً علمياً لطلبة الماجستير بعنوان التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة لسور القرآن الكريم (دراسة موضوعية تطبيقية) كان هذا البحث واحداً من هذا المشروع.

خامساً: منهج الدراسة

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي للتفسير الموضوعي، منطلقًا من الخطوات التالية:

- تقسيم البحث إلى العناوين المناسِبة للفصول والمباحث والمطالب حسب ما يتطلبه البحث.

- تفسير بعض الآيات تفسيراً إجمالياً، والوقوف على هداياتها وفوائدِها.
- بيان معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى مظانّها الأصلية.
- استقراء آيات سورة آل عمران ثم استنباط التوجيهات التربوية، ثم استخراج الأساليب البيانية منها.
- توثيق الآيات القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث بين قوسين؛ تجنباً لإثقال الحواشي.
- الاستشهاد بالأحاديث والآثار التي تخدم موضوع البحث وتخريجها من مظانها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفَيت، وإلَّا فإنني أخرجه من مظانّه، مع ذكر حكم العلماء عليه إن وُجد.
- الاستدلال بأقوال العلماء والمفكرين وأصحاب الشأن ذي العلاقة بموضوع البحث، مع التوثيق في الحاشية حسب الأصول.
- مراعاة الأمانة العلمية في النقل والتوثيق حسب الأصول.
- الترجمة للأعلام المغمورة التي ترِد في البحث.
- خدمة البحث بالفهارس اللازمة التي يُحتاج إليها، لتسهيل الانتفاع بها.

سادساً: خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين وخاتمة ثم سأخدم البحث بفهرس للآيات القرآنية وآخر للأحاديث النبوية وثالث للمصادر والمراجع ثم بفهرس للموضوعات الواردة في البحث، فجاءت الخطة على النحو التالي:

- **المقدمة:** وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث وغاياته، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث ثم خطة البحث.
- **التمهيد:**
  - أولاً: بين يدي سورة آل عمران.
    - تعريف عام بالسورة.
    - اسم السورة.
    - أسباب نزول السورة.
    - الجو التي نزلت فيه السورة، وزمن نزولها.
    - هدف السورة ومحورها الرئيس.
    - هدف السورة الرئيسي.

- أهم مقاصد السورة.

- ثانيا: مناسبات سورة آل عمران.
  - المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.
  - المناسبة بين أول السورة وآخرها.
  - مناسبة السورة لما قبلها.
  - مناسبة السورة لما بعدها.

- **الفصل الأول: التوجيهات التربوية المستنبطة من سورة آل عمران، ويتكون من أربعة مباحث:**
  - **المبحث الأول: التوجيهات التربوية العقدية المستنبطة من سورة آل عمران، ويشتمل على ثلاثة عشر مطلبًا:**
    - المطلب الأول العذاب الشديد عاقبة الكفار المكذبين.
    - المطلب الثاني:جنات النعيم جزاء المتقين.
    - المطلب الثالث:الشهادة على وحدانية الله وأنَّ الدين عند الله هو الإسلام.
    - المطلب الرابع: الله هو الوهاب للبنين والرزاق بغير حساب.
    - المطلب الخامس: دعوى ألوهية عيسى بن مريم هو كفر وضلال.
    - المطلب السادس: مجادلة أهل الكتاب في إبراهيم هو جدل بغير علم.
    - المطلب السابع: طاعة اليهود والنصارى طريق إلى الكفر والضلال.
    - المطلب الثامن: وحدة الرسالات السماوية والدين الحق.
    - المطلب التاسع: جزاء الكافرين بعد إيمانهم ومن تاب تاب الله عليه.
    - المطلب العاشر: إصرار أهل الكتاب على الكفر وصدهم عن سبيل الله.
    - المطلب الحادي العاشر: جزاء المؤمنين من أهل الكتاب ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً.
    - المطلب الثاني عشر: الثقة بالكفار وموالاتهم واطلاعهم على أسرار المؤمنين خيانة لله ورسوله.
    - المطلب الثالث عشر: نسبة الفقر إلى الله وتكذيب النبي ﷺ من قبائح اليهود.
    - المطلب الرابع عشر: الموت مصير كل نفس.
  - **المبحث الثاني: التوجيهات التربوية التعبدية المستنبطة من سورة آل عمران، ويشتمل على سبعة مطالب:**

- المطلب الأول: محبة الشهوات الدنيوية فتنة للإنسان.
- المطلب الثاني: عبادة الله والسير على الصراط المستقيم هي عقيدة الأنبياء جميعاً.
- المطلب الثالث: نوع النفقة المبرورة وجزاء الإنفاق.
- المطلب الرابع: الرّد على اليهود في تحريم بعض الأطعمة.
- المطلب الخامس: البيت الحرام منزلته عظيمة ومن دخله كان آمنا.
- المطلب السادس: اجتناب الربا وطاعة الله ورسوله والإنفاق في سبيل الله سبيل إلى جنات النعيم.
- المطلب السابع: مهمة الرسول تزكية المسلمين وتعليمهم القرآن والحكمة.

○ **المبحث الثالث: التوجيهات التربوية الدعوية المستنبطة من سورة آل عمران، ويشتمل على ثلاثة عشر مطلبًا:**

- المطلب الأول: جزاء من قتل الأمرين بالمعروف والناهون عن المنكر.
- المطلب الثاني: الإعراض عن تحكيم شرع الله تشبه باليهود وسبب في غضب الله.
- المطلب الثالث: قدرة الله وعظمته وتصرفه في خلقه تستوجب توحيده وعبادته.
- المطلب الرابع: وجوب موالاة المؤمنين والتحذير من موالاة الكافرين والاستعانة بهم.
- المطلب الخامس: محبّة الله باتّباع الرّسول وطاعته سبب في رضوان الله تعالى.
- المطلب السادس: استعراض القصة في القرآن لأخذ العبرة والعظة.
- المطلب السابع: محاولة أهل الكتاب التلاعب بالدين وإضلال المسلمين.
- المطلب الثامن: أداء الأمانة والوفاء بالعهد عند بعض أهل الكتاب من أخلاق المؤمنين.
- المطلب التاسع: تقوى الله وطاعته والاعتصام بحبله من مميزات الشخصية الإسلامية.
- المطلب العاشر: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجب على المسلم حسب الاستطاعة.
- المطلب الحادي عشر: سنة الله في عاقبة المكذّبين وإكرام المتّقين.
- المطلب الثاني عشر: فضل التفكر في خلق السموات والأرض.

- المطلب الثاني عشر: أسلوب المدح.
- المطلب الثالث عشر: أسلوب القسم.

- **الخاتمة**، وتتضمن: أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.
- **المصادر والمراجع**.
- **الفهارس**، وتتضمن:
  - فهرس الآيات القرآنية.
  - فهرس الأحاديث النبوية.
  - فهرس المصادر والمراجع.
  - فهرس الموضوعات (ويكون في أول الدراسة حسب متطلبات عمادة البحث العلمي).

نسأل الله التوفيق،،،

الفصل التمهيدي

مصطلحات عنوان الرسالة وتعريف عام

بسورة آل عمران

المطلب الأول:
تعريف عام بسورة آل عمران وأهدافها ومقاصدها

سورة آل عمران من السور المدنية بالإجماع، وفي ترتيب المصحف هي السورة الثالثة بعد سورتي الفاتحة والبقرة، وهي من السور القرآنية التي تحتوي على كثير من التوجيهات التربوية المهمة، والتي لها الأثر البالغ في سلوك الإنسان المؤمن، ولا بد قبل الشروع ببيان هذه التوجيهات التربوية من مدخل نتعرف فيه على أسماء السورة والمعنى العام لها، والتعرف على الجو العام الذي نزلت فيه السورة، وكذلك لا بد من الوقوف على أسباب النزول وهذا ما سيتناوله الباحث في هذا التمهيد إن شاء الله.

أولاً: أسماء السورة وأسباب وزمن نزولها وبيان فضلها

1. أسماء السورة:

من المعلوم أنَ سورة آل عمران من السور التوقيفية؛ بمعنى أنَ ذلك مُتلقى عن رسول الله ﷺ وقد ذكر العلماء لسورة آل عمران أسماء كثيرة منها:

أ. **الزهراوان:** وسميت آل عمران والبقرة بالزّهراوين، لأنّهما النّيّرتان الهاديتان قارئهما للحقّ بما فيهما من أنوار ومعان، أو لما يترتب على قراءتيهما من النور التام يوم القيامة، أو لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم[1] وفي صحيح مسلم من حديث أبي أُمامة الباهلي ﷺ: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران)**[2].

ب. **وتسمى سورة آل عمران:** في التوراة طيبة وفي صحيح مسلم تسميتها والبقرة الزهراوين[3].

2. أسباب نزول السورة:

تعددت الروايات حول سبب نزول سورة آل عمران، ويعتبر سبب النزول الرئيسي لهذه السورة قدوم وفد نجران[4] وجاء في سبب نزول هذه الآية أنَ وفد نجران قالوا لرسول الله ﷺ : مالك تشتم صاحبنا؟ قال، وما أقول؟ قالوا: تقول إنَّه عبد، قال: أجل إنَّه عبد الله ورسوله وكلمته

---

(1)التفسير المنير: الزحيلي (142/2).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح 252 (553/1).

(3)انظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي (151/1).

(4) نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها. معجم البلدان: الحموي (266/5).

ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب، فإن كنت صادقا فأرنا مثله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية(1).

وهناك كثير من الروايات في أسباب النزول نزلت في آيات خاصة أذكر منها:

أ. **قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** [آل عمران: 77].

روى البخاري بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ: "أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ" فَنَزَلَتْ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** [آل عمران: 77](2).

ب. **قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾** [آل عمران: 128].

روى البخاري بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: "اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَلَكَ الحَمْدُ فِي الأَخِيرَةِ"، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾** [آل عمران: 128](3).

ت. **قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران: 122].

روى البخاري بسنده عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: "نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا: **﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا﴾** [آل عمران: 122] بَنِي سَلِمَةَ، وَبَنِي حَارِثَةَ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّهَا لَمْ تَنْزِلْ، وَاللَّهُ يَقُولُ: **﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾** [آل عمران: 122](4).

3. **زمن نزول السورة وعدد آياتها:**

عند غالب أهل التفاسير أنّ هذه السورة نزلت بالمدينة بعد سورة البقرة وقيل: إنّها ثَانِيَةٌ لسورة البقرة على أنَّ أول سورة نزلت بالمدينة، وقيل: نزلت بالمدينة سورة المطففين أولاً، ثم

---

(1)أسباب النزول: الواحدي (67/1).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع/ باب ما يكره من الحلف في البيع، (60/3،) رقم الحديث:2088.

(3)صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة/ باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ} [آل عمران: 128]، 160/9، رقم الحديث: 7346.

(4)صحيح البخاري، البخاري، المغازي/باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ} [آل عمران: 122]، 96/5، رقم الحديث: (4051).

البقرة، ثم نزلت سورة آل عمران، ثم نزلت الأنفال في وقعة بدر وهذا يقتضي أَنّ سُورَةَ آلِ عمْرانَ نَزَلت قَبْلَ وَقعة بَدْر [1].

وقال ابن كثير: "هي مدنية؛ لأَنَّ صدرها إِلَى ثَلَاث وثَمانِين آيَةً منه نزلت في وفد نجران، وَكَانَ قُدُومهمْ فِي سَنَة تِسْع من الهجرة"[2].

ويبلغ عدد آياتها مائتي آية كما ورد في كتاب الله وهو الراجح عند المفسرين[3].

4. فضل السورة:

سورة آل عمران من السور القرآنية ذات الفضل العظيم، وقد سماها رسول الله ﷺ بالزهراء، وحث على قراءتها رغبة في الحصول على الأجر والثواب، وجاء في فضل هذه السورة أحاديث نبوية أذكر منها:

أ. حديث النّواس بن سمعان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ **(يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران)**[4].

ب. روى مسلم بسنده عن أبي أُمامة الباهلي ﵁: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران)**[5].

ثانياً: هدف السورة وأهم مقاصدها.

1. هدف السورة:

كل سورة من سور القرآن الكريم لها وحدة موضوع، واسم كل سورة مستوحى من هذا الموضوع.

وهذه السورة كغيرها من السور المدنية التي تعنى ببيان الأحكام الشرعية، والمحور التي تسعى لإبرازه.

هدف هذه السورة هو الثبات على المنهج الذي رسمته لنا سورة البقرة، فهذه السورة جاءت لتقودنا وتعيننا على المنهج الرباني والتمسك به، وتحذرنا من الأشياء التي تُضيِّع الثبات وتعرقل طريقه من حب الشهوات وملذاتها.

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: بن عاشور(143/3).

(2) تفسير القرآن الكريم: بن كثير (5/2).

(3)انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (2/ 5).

(4)صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (1 / 553)رقم الحديث:252.

(5) انظر: المرجع السابق سبق تخريجه ص:9.

2. مقاصد السورة:

تناولت سورة آل عمران عددا من المقاصد لعل من أبرزها ما يلي:

أ. إثبات الوحدانية له جل في علاه.

ب. إثبات صدق القرآن وصدق النبوة.

ت. تذكير المسلمين بنعمة الله عليهم بدين الإسلام.

ث. الرد على الشبهات التي يثيرها أهل الكتاب حول الإسلام والقرآن.

ج. تحذير المسلمين من كيد ودسائس أهل الكتاب.

المطلب الثاني:

أوجه المناسبة في سورة آل عمران.

أولا: مناسبات سورة آل عمران

1. مناسبة السورة لما قبلها وهي سورة البقرة:

ناسبت مواضيع سورة آل عمران مع مواضيع السورة التي سبقتها؛ وهي سورة البقرة؛ فقد نَفَت سورة البقرة الريب والشكّ في القرآن، وذلك ما أكّدته سورة آل عمران، كما ذكرت سورة البقرة إنزال القرآن مُجمَلاً، وفُرّعت آياته إلى مُحكمةٍ ومُتشابهةٍ في آل عمران، وكذلك ورد القتال في سورة البقرة بشكلٍ مُجمَلٍ، وفُصِّل في آل عمران؛ بالحديث عن غزوة أُحد، كما تناولت سورة البقرة الحديث عن المقتولين في سبيل الله بإيجازٍ واختصارٍ، وفُصِّل ذلك في آل عمران، وحذّر الله من الرِّبا في سورة البقرة باختصارٍ أيضاً، بخِلاف التفصيل في سورة آل عمران، وورد الحديث عن الحجّ والعُمرة بإجمالٍ في سورة البقرة، وفُصِّل في آل عمران.

ووجه اتصالها بما قبلها أمور:

أ. "إنّ كلًا منهما بدأ بذكر الكتاب وحال الناس في الاهتداء به– فقد ذكر في الأولى من آمن به ومن لم يؤمن به والمذبذبين بين ذلك، وفي الثانية طائفة الزائغين الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وطائفة الراسخين في العلم الذين يؤمنون بمحكمه ومتشابهه، ويقولون كل من عند ربنا.

ب. إنّ في الأولى تذكيرًا بخلق آدم، وفي الثانية تذكيرًا بخلق عيسى، وتشبيه الثاني بالأول في أنّه جرى على غير سنة سابقة في الخلق.

ت. إنّ في كل منهما محاجة لأهل الكتاب، لكن في الأولى إسهاب في محاجة اليهود واختصار في محاجة النصارى، وفي الثانية عكس هذا، لأنَّ النصارى متأخرون فى الوجود عن اليهود، فليكن الحديث معهم تاليا في المرتبة للحديث الأول.

ث. إنّ في آخر كل منهما دعاء، إلا أنَّ الدعاء في الأولى ينحو نحو طلب النصر على جاحدي الدعوة ومحاربي أهلها، ورفع التكليف بما لا يطاق، وهذا مما يناسب بداءة الدين، والدعاء في الثانية يرمى إلى قبول دعوة الدين وطلب الجزاء على ذلك في الآخرة.

ج. إنّ الثانية ختمت بما يناسب بدء الأولى كأنَّها متممة لها، فبدئت الأولى بإثبات الفلاح للمتقين، وختمت هذه بقوله: و﴿واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 19]"[1].

2. مناسبة السورة لما بعدها وهي سورة النساء:

يتّضح التناسب بين سورة آل عمران والسورة التي بعدها؛ وهي سورة النِّساء؛ إذ خُتِمت سورة آل عمران بأمر الله للعباد بالتقوى، وهو الأمر الذي افتُتِحت به سورة النِّساء، والتي كانت قد ذُكِرت فيها نهاية أحداث غزوة أُحد، التي فُصِّلت في سورة آل عمران، وقد تحدّثت السورتان عن الغزوة التي وقعت بعد غزوة أُحد، وعن الراسخين في العلم، وذُكِرت في سورة آل عمران الشهوات بصورةٍ مُجمَلةٍ، وفُصِّل الحديث عنها في سورة النِّساء.

---

(1) تفسير المراغي: المراغي (91/3).

الفصل الأول

التوجيهات التربوية المستنبطة من سورة آل عمران

الفصل الأول

التوجيهات التربوية المستنبطة من سورة آل عمران

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول

التوجيهات التربوية العقدية في ضوء سورة آل عمران

إنّ العقيدة الإسلامية هي الركيزة الأساسية في إصلاح الأفراد والمجتمعات، كيف لا وهي تغرس في المسلمين معاني الولاء والبراء، ولن تستقيم حياة المجتمعات بدون عقيدة إيمانية صلبة تربي فينا معاني الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، وقد جاءت سورة آل عمران ببعض التوجهات التربوية العقدية والتي تشتمل على أربعة عشر مطلباً

المطلب الأول

العذاب الشديد عاقبة الكفار المكذبين

يبين الله ﷻ في مطلع سورة آل عمران العذاب الشديد الذي سيلحق بالذين كفروا وكذبوا بآياته التي أنزلها لهداية الناس وإرشادهم، وأنَ هذا العذاب الشديد لا ينفك عنهم جزاء كفرهم وتكذيبهم، ولا يستطيع أحد دفعه عنهم.

فالعذاب الشديد الذي توعدهم **الله** به من الدنيا القتل والأسر والغلبة وعذاب الآخرة النار وبئس المصير[1]، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** [آل عمران:4] والله سبحانه عزيز غالب أمره ونافذ لا يغلب، ذو انتقام قادر على ما تقتضيه حكمته لا راد لقضائه.

وقوله: **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** "أي لا يُغلب على أمره، ولا توجد قوة أخرى ضده، وانتقامه لن يستطيع أحد أن يرده"(2).

"وفى قوله أيضاً: **﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾** إشارة إلى القدرة التامة على العقاب، وفى قوله: **﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾** إشارة إلى كونه فاعلا للعقاب، ينزله متى شاء، وكيف شاء، بمقتضى قدرته وحكمته وإرادته"[3].

---

(1) انظر: حدائق الروح والريحان: الهرري (175/4).

(2)تفسير الشعراوي: الشعراوي (1268/2).

(3) التفسير الوسيط: الطنطاوي(24/2).

الآثار التربوية من توعد الكافرين بالعذاب الأليم:

1. تربية النفس على الخوف والوجل من الله.
2. بيان عظمة الله وقدرته وانتقامه من الكافر.
3. حمل راية الجهاد ضد الكفار والبراءة منهم وعدم التشبه بهم وعدم الحنين إليهم وقد توعدهم الله ﷻ.

المطلب الثاني
جنات النعيم جزاء المتقين

إنّ ما أعده الله ﷻ من خير للذين اتقوا يُظهر الصورة الحقيقية للحياة الدنيا، وأنَّها حقيرة لا تساوي شيء مما عنده سبحانه من خير متاع: **﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾** [الأعلى: 13].

فما عند الله من متاع، خير وعوض عن تلك الشهوات، وإنّ المتاع الأخروي الذي تذكره الآية ويؤمر الرسول ﷺ أن يُبشر به المتقين هو نعيم حسي في عمومه ولكن هناك فارقا أساسياً بينه وبين متاع الدنيا، إنّه متاع لا يناله إلا أهلُ التقوى وشعور التقوى شعور مهذب للروح والحس، إنه شعور ضابط لصيانة النفس وحفظها من الاستغراق في الشهوات(1).

وإنَّ ما أعده الله للمتقين من الجنة والرضوان والنعيم هو الذي ينبغي الاقبال والمسارعة إليه، والله جل في علاه أمرنا وحثنا على المسارعة فقال سبحانه: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [آل عمران: 133].

وكما تدعونا سورة آل عمران إلى الثبات تحذرنا أيضا مما يضيع الثبات وهو التعلق بشهوات الدنيا وملذاتها من النساء والبنين وغيرهما، فالذي هو خير عند الله من هذه الملذات الدنيوية الجنة ونعيمها والتي أخبرنا عنها النبي ﷺ في الحديث القدسي قَالَ اللَّهُ ﷻ "**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾**[السجدة:17](2).

فالجنة هي دار الجزاء أعدها الله لمن خافه واتقاه، والحديث عنها ذو شجون يحبها المشتاقون ويتسارعون إليها لأنها دار الخلد والكرامة التي دعاهم إليها رب العالمين **﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [يونس:25]، فهي دار نعيمها باق قُرِّبَتْ

---

(1) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب(375/1).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الوحي/ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة،(118/4) رقم الحديث: 3244.

وأُزلفت وأُعدت للمتقين كرامة وجزاءً لهم على صبرهم، من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه، وينادوا عليهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزُّمَرِ: 73].

ويخبرنا المولى سبحانه عن النّعيم المقيم الذي أعده للمتقين والذين اختاروا ما هو خير وأبقى لهم من هذه الدنيا الفانية قال الله تعالي ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: 15].

والمتقون في هذه الآية هم الصادقون في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم والذين صدقوا بالكتاب وآمنوا بالرسل، فكان جزاؤهم من جنس أعمالهم، ويتفضل المولى سبحانه عليهم بالعديد من النِعَم منها:

1. جنات تجري من تحتها الأنهار أي بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار.
2. الخلود الأبدي أي أنّ هؤلاء الذين اتقوا ربهم خالدون في تلك الجنات التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين خلودا أبديّا، ومن هذه النعم كما في قوله تعالى: ﴿وأَزْواجٌ مُطَهَرَة﴾ أي مطهرة من كل دنس وقذر حسى ومعنوي(1).
3. رضى الله وهو أعظم وأكبر من كل نعمة ولذة مادية. وقد بدأ بذكر المقر وهو الجنات، ثم ذكر ما يحصل به الأنس التام من الأزواج المطهرة، ثم ذكر ما هو أعظم الأشياء وهو رضا الله عنهم، فحصل بمجموع ذلك اللذة الجسمانية والفرح الروحاني حيث علم برضا الله عنه(2).

فالحديث عن الجنة وما أعده الله للمتقين فيها طويل لا ينتهي، فلنشمر عن سواعدنا ولنستعد لها بالإقبال على الله ﷻ بالأعمال الصالحة لانَّ التقوي سبيل للفلاح في الدنيا والآخرة، والحديث عن الجنة ونعيمها وما أعده الله للمتقين فيها؛ أخذ مساحة كبيرة في القرآن الكريم وذلك للفت أنظار الأمة إلى أهميتها، وذلك استعدادًا لها وهذ امتحان تربوي مهم للنفوس المؤمنة ودافع للإنسان أن يستقيم في حياته.

(1) انظر: الوسيط، طنطاوي(52/2).
(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (172/3).

المطلب الثالث

الشهادة على وحدانية الله، وأن الدين عند الله هو الإسلام

"يبّين الله تعالى لجميع الخلائق وحدانيته وأنه المتفرد بالألوهية بالدلائل التكوينية والتصريفية في الآفاق والأنفس، وأخبر الملائكةُ الرسلَ بهذا، وشهدوا شهادة مؤيدة بعلم بدهي، وكذلك أخبر أولو العلم بذلك، وبينوه وشهدوا به شهادة مقرونة بالدليل والحجة، وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام"[(1)].

1. والإسلام هو دين الأنبياء جميعًا، فلا دين عند الله غيره قال سبحانه **﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾** [آل عمران: 19].

والإسلام هو أنْ تُسلم وجهك وقلبك لله أي تعبده مخلصا له الدين وبهذا المقصد بعث الله الانبياء لإفراده بالعبادة وحده.

ومادام هذا الدين هو الإسلام، فهو الدين الذي ارتضاه الله ولا يُقبل غيره، ودين الإسلام كلمة شائعة في الأديان، والإسلام لا يقف عند رسالة سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم فقط؛ إنَّما الاسلام خضوع واستسلام وانقياد لله ﷻ، فالإسلام في الأمم السابقة كان وصفاً، وأما بالنسبة لرسالته ﷺ أصبح علماً لأنه لم يأت بعد هذه الرسالة دين، ولقد أصبح الإسلام إسماً لأُمة محمد ﷺ ولا يطلق هذا الوصف إلا على من بالغ في التسليم والانقياد لهذا الدين[(2)].

وشهادة الله سبحانه أن لا إله إلا هو تتطلب من العباد العبودية الخالصة لله الممثلة في الإسلام لا اعتقاداً وشعوراً فحسب بل تطبيقاً وعملاً بالمنهج الذي أمرنا الله تعالى به، ولا تستقيم شهادة الله مع من اتخذ مع الله آلهة، لأنَّ هذا هو التناقض بحد عينه، والاستسلام والانقياد يدفع الإنسان المسلم للسمع والطاعة وتلقي الأوامر والنواهي عن حب ورضى وطيب نفس.

2. "ثُمّ قَرن شهادَةَ ملائكَته وَأُولي الْعلْم بِشهادته فَقَالَ: **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾** [آل عمران: 18] وَهَذِهِ خُصُوصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ لِلْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْمَقَامِ"[(3)].

---

(1) التفسير المنير: الزحيلي (178/3).

(2) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (1356/3).

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (24/2).

والمراد بأولي العلم هم العلماء العاملون الذين سخروا إمكانيتهم في خدمة عقيدتهم، وفيما ينفعهم وينفع غيرهم، وأخلصوا في عبادتهم، وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم [1].

وشهادة الملائكة وأولي العلم تصديق وطاعة وانقياد قائمة على القسط ولا يمكن تحقق هذا القسط دون استقامة واتباع للمنهج السليم الذي اختاره الله لنا، لأنَّ الميل عن هذا المنهج هو الظلم بعينه قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13].

وإن المتتبع للتاريخ على مر العصور ليدرك أنَّ الفترات التي حُكَم فيها كتاب الله سادها العدل وذاقت طعم الإيمان واستقامت حياتهم نحو الأفضل[2].

3. "ثم بيَّن سبحانه وتعالى أنَّ اختلاف أهل الكتاب في شأن الدين الحق لم يكن عن جهل منهم بالحقائق وإنَّما كان سببه البغي والحسد وطلب الدنيا فقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾" [آل عمران:19]، أي: وما كان خلاف الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى فيما جاءهم به الرسول ﷺ إلاَّ من بعد أن علموا بأنَّ ما جاءهم به هو الحق الذي لا باطل معه، فخلافهم لم يكن عن جهل منهم بأنَّ ما جاءهم به هو الحق وإنما كان سببه البغي والحسد والظلم فيما بينهم"[3].

وفي ذلك توجيه للأمة أنَّ خلافهم مع أهل الكتاب هو خلاف على الحق، وعلى الأمة أن تحذر من التعامل معهم حتى لاتقع في المنزلقات والمحاذير المدمرة للمجتمعات.

المطلب الرابع
الله هو الوهاب والرزاق بغير حساب

الوهاب اسم من أسماء الله تعالى تكرر في القرآن الكريم في ثلاث مواضع، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران:8].

وقال تعالى: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص:9]، وقال تعالى في ذكر دعاء نبي الله سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:35].

---

(1) انظر التفسير الوسيط: طنطاوي (55/2).

(2) انظر: ظلال القرآن سيد قطب (119/2).

(3) التفسير الوسيط: طنطاوي (58/2).

والوهاب هو الذي يهب ويجود بالعطايا والنوال دون عوض، ويتفضل على عباده دون استحقاق، ومن النعم التي يتفضل الله بها على العباد هبة البنين، وهي هبة وعطية من الله تستوجب الحمد والشكر، فهبة الله للبنين إنَّما تكون في الغالب للمؤمن حتى يتعبّد لله ﷻ.

وتكون أيضا لغير المؤمن فتصبح عدوا له لا هبة قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن:14].

فالهبة خاصة للمؤمن، وأما الرزق فهو عام وشامل لكل المخلوقين، فالله يهب المؤمن ويرزقه وكلما شكر زاده الله، وأما الكافر فرزقه مقصور على دنياه، ورزقه في الدنيا استدراج وإمهال.

ولما سألت امرأت عمران دعت ربها أن يهب لها ولداً لتعبدّه لله، أي تجعله عتيقاً لله ﷻ لا ينتفع بشيء من أمور الدنيا[1] فاستجاب الله لها وكانت الاستجابة على قدر إخلاص نيتها لله قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ [آل عمران:37].

وكانت امرأت عمران عاقراً لم تلد، واشتاقت للولد، فدعت الله تعالى أن يهبها ولداً، فاستجاب الله دعاءها، فلما تحقق الحمل قالت: كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:35] أي خالصاً لوجهك الكريم، متفرغا للعبادة وخدمة بيت المقدس وكان ذلك جائزًا في شريعتهم، وكان على الولد الطاعة. ودعت الله ﷻ أن يتقبل منها هذا النذر، وهو السميع لكل قول ودعاء، العليم بنية صاحبه وإخلاصه، وهذا يستدعي تقبل الدعاء، فضلا منه وإحسانًا، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكرٌ هو أم أنثى، فلما وضعت حزنت وتأسفت أسفاً بالغاً، وقالت في حسرة: إني وضعتها أُنثى وذلك أنه ما كان يؤخذ لخدمة البيت إلا الذكور، لأنَّ الأنثى تحيض وتلد، فلا تصلح لهذا، والله أعلم بما وضعت وبمكانتها، وفي هذا تعظيم لشأن الأنثى، وليس الذكر الذي طلبت وتمنت كالأنثى أي في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى، بل هذه الأنثى خير مما كانت ترجو من الذكر...[2].

فتقبل الله تعالى من امرأت عمران جزاء إخلاصها، ورضي أن تكون محررة خالصة للعبادة وخدمة البيت على صغرها وأنوثتها، ورباها ونماها بما يصلح أحوالها تربية عالية تشمل

(1)انظر: جامع البيان: الطبري (330/6).

(2) انظر: التفسير المنير الزحيلي (213/3).

الجسد والروح، كما يربى النبات في الأرض الصالحة بعد تعهد الزارع إياه بالسقي والتسميد وقلع الأعشاب الضارة من حوله.

وكان زكريا زوج خالتها، وكان معروفا بالخُلقِ والتقوى كافلاً لها وراعياً لمصالحها حتى شبت وترعرعت، وإنَّما قدر الله كون زكريا كفيلها لسعادتها، لتقتبس منه علماً جماً نافعاً وعملاً صالحاً.

وكان كلما دخل زكريا عليها المحراب، وجد عندها خيراً كثيراً ورزقاً وافراً، وألواناً من الطعام لا توجد في مثل ذلك الوقت قال تعالى: **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** [آل عمران:37] وكان يعجب من هذا الصنيع، قال جماعة من مفسري التابعين: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وكان يعجب من هذا فيقول لها: يا مريم، من أين لك هذا؟ والأيام أيام جدب وقحط، قالت: هو من عند الله الذي يرزق الناس جميعا، بتسخير بعضهم لبعض، إنَّ الله يرزق من يشاء من عباده بغير حساب. قيل: هو من قول مريم، ويجوز أن يكون كلاما مستأنفا، فكان ذلك سبب دعاء زكريا وسؤاله الولد(1).

ومن الأثار التربوية على هبة الله تعالى ورزقه:

1. الرضا بما قسمه الله تعالى.
2. الدعاء والتبتل إلى الله تعالى بطلب الذرية، وتحري أوقات الاستجابة.
3. مناجاة الله تعالى والقرب منه والشكوى إليه.

وبهذا يعلم أنَّ من ارتبطت حياته بالعبادة والتبتل لله سبحانه وتعالى يرزقه الله من حيث لايحتسب.

المطلب الخامس
دعوى ألوهية عيسى بن مريم كفر وضلال

كان مولد عيسى عليه السلام معجزة وآية من آيات الله، وأنَّ أهل الكتاب أثاروا نحوه الجدل، وتعسفوا بالأدلة وأولوها وفق أهوائهم، فقد جاء عيسى عليه السلام من أم دون أب، قال تعالى: **﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [آل عمران: 59].

"فالآية الكريمة ترد ردا منطقيا حكيماً يهدم زعم كل من قال بألوهية المسيح أو اعتبره ابناً لله تعالى، وكأنَّ الآية الكريمة تقول لمن ادعى ألوهية عيسى عليه السلام لأنَّه خُلق من غير أب: أنَّه

(1) انظر: المرجع السابق (214/3).

إذا كان وجود عيسى بدون أب يسوغ لكم أن تجعلوه إلهاً أو ابن إله فأولى بذلك آدم عليه السلام، لأنَّه خُلق من غير أب ولا أم، ومادام لم يدَّعِ أحدٌ من الناس ألوهية آدم لهذا السبب فبطل حينئذ القول بألوهية عيسى لانهيار الأساس الذي قام عليه وهو خلقه من غير أب.

ولأنه إذا كان الله تعالى قادراً على أن يخلق إنساناً بدون أب ولا أم فأولى أن يكون قادراً على خلق إنسان من غير أب"[1].

وفي الآية أيضا دليل على صحة القياس، وهذا التشبيه واقع على أنَّ عيسى عليه السلام خُلق من غير أب كآدم عليه السلام، لا على أنَّه خلق من تراب، والشيء قد يشَّبه بالشيء وإن كان بينهما فرق شاسع بعد أن يجتمعا في وصف واحد، فإن آدم خلق من تراب ولم يخلق عيسى من تراب فكان بينهما فرق من هذه الجهة، ولكن شبه ما بينهما أنهما خلقهما من غير أب، ولأنَّ أصل خلقتهما كان من تراب لأنَّ آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طينا ثم جعله صلصالا ثم خلقه منه، فكذلك عيسى حوله من حال إلى حال، ثم جعله بشرا من غير أب، وسبب نزول هذه الآية هو قدوم وفد نجران[2] إلى المدينة وجادلوا النبي ﷺ وقالوا لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا؟ قال، وما أقول؟ قالوا: تقول إنَّه عبد، قال: أجل إنَّه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنسانا قط من غير أب، فإن كنت صادقا فأرنا مثله، فأنزل الله عز وجل هذه الآية[3].

وبعد هذه الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة أرى أنَّ دعوى ألوهية عيسى عليه السلام دعوى باطلة لا أساس لها من الصحة لأنَّ هذه الدعوى جاءت وفق أهوائهم.

قال الزحيلي: "وإن جاز ادّعاء النبوّة في عيسى، لكونه مخلوقًا من غير أب، فجواز ادعائها في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتّفاق أنَّ ذلك باطل، فدعوى النبوّة في عيسى أشدّ بطلانا.

ولكنَّ الله تعالى أراد أن يظهر قدرته للناس حين خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية البشر من ذكر وأنثى. ولهذا قال تعالى في سورة مريم: **﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾** [مريم21]، وقال هنا: **﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾** [البقرة:147] وهذا الذي أخبرتك به من شأن عيسى ومريم هو القول الحق، لا ما اعتقده

---

(1) التفسير الوسيط: طنطاوي(126/2).

(2) نجران في مخاليف اليمن من ناحية مكة قالوا سمي بنجران بن زيدان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان لأنه كان أول من عمرها ونزلها. معجم البلدان: الحموي (266/5).

(3) أسباب النزول: الواحدي (67/1).

النصارى في المسيح من أنَّه إله، ولا ما زعمه اليهود من رمي مريم بيوسف النّجار، وهذا رد صريح عليهم فيما ادعوه من باطل.

فلا تشكنّ في أمرهما بعد أن جاءك العلم اليقيني به. وهذا النهي يثير في النّبي وأمّته ضرورة الاعتصام باليقين واطمئنان النفس إلى الخبر الإلهي. أي واظب على يقينك وطمأنينة نفسك إلى الحقّ والبعد عن الشّك فيه، أو أنَّ الخطاب للنّبي ﷺ والمراد أمته، لأنه ﷺ لم يكن شاكّا في أمر عيسى عليه السلام"(1).

ويلخص الباحث أنَّ ما يعتقده النصارى من دعوى ألوهية عيسى عليه السلام باطل، وأنَّ هذه الدعوى كفرٌ وضلال، وماهو إلا عبد من عباد الله جل جلاله خلقه الله كما خلق آدم عليه السلام من تراب، وإنَّ قضية الخلق تخضع لقانون الأسباب والمسببات، ولكن خلق عيسى عليه السلام من باب المعجزات.

المطلب السادس
مجادلة أهل الكتاب في إبراهيم جدل بغير علم

تتواصل الآيات الكريمة في التحدث عن خط المعركة الفاصل بين أهل الكتاب والجماعة المسلمة، والتأكيد القرآني على إسلامية إبراهيم عليه السلام والصلة الوثيقة بينه وبين أمة الإسلام.

وسأتحدث في هذا المطلب عن مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى في شأن إبراهيم عليه السلام، وهو جدلٌ يعتمد على الجهل وعدم الإدراك بالحقائق، إذ إنَّ القرآن الكريم بيّن حقيقة هذا المكر والعداء من أهل الكتاب ليُبَصر المؤمنين بحقيقة ما هم عليه من الحق، وحقيقة ما عليه أهل الكتاب من باطل.

ويبدأ سير المعركة الفاصل في مواجهة أهل الكتاب بسخف موقفهم وهم يحاجون في إبراهيم عليه السلام ذلك أنّ اليهود زعموا أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يهوديًا، وزعم النصارى أنّه كان نصرانياً، على حين أنّ إبراهيم عليه السلام سابق لليهودية والنصرانية، سابق للتوراة والإنجيل، والجدال فيه على هذا النحو مراء لا يستند إلى دليل.

ويبين الله جل جلاله حقيقة ما كان عليه إبراهيم عليه السلام ليبطل زعم أهل الكتاب قال تعالى: **﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [آل عمران: 67].

(1) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (247/3).

أي ما كان إبراهيم مائلاً إلى الملة اليهودية ولا النصرانية، ولكن كان مائلاً عن الأديان الباطلة مسلماً لله وحده، فهذه الآية تُسقط قيمة ما يُدلون به من حجج وتكشف حقيقة أمرهم وقلة اعتمادهم على منهج منطقي سليم.

ويقرر السياق القرآني حقيقة هذا الدين من خلال حقائق لعل من أبرزها ما يلي:

1. اليهود والنصارى الذين انتهى أمرهم إلى تلك المعتقدات المنحرفة يُشركون ومن ثمّ لا يمكن أن يكون إبراهيم عليه السلام يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما.
2. الإسلام شيء والشرك شيء آخر فلا يلتقيان.
3. إبطال دعوى إبراهيم عليه السلام للمشركين من قريش أنهم على دين إبراهيم فهو حنيف مسلم ولم يكُ من المشركين.

ومادام ابراهيم عليه السلام على الملة الحنفية وهي الإسلام، فلا داعي لهؤلاء اليهود والنصارى هذه الوراثة لأنهم بعيدون عن عقيدته التي جاء بها، وفي ذلك عبرة أنَّ النسب لايغني عن الإنسان شيئًا، حتى لو انتسب إلى سلالة الأنبياء، فقد كان أبوجهل وأبولهب من قبيلة النبيﷺ، ولم تقدم أو تؤخر في مكانتهم، بل نالوا جزاءهم الذي يستحقون.

"ثم أشار الله تعالى إلى جهلهم وحماقتهم في دعواهم هذه، فقال: ها أنتم هؤلاء تجادلون وتحاجّون فيما لكم به علم ومعرفة من أمر عيسى عليه السلام مما نطق به التّوراة والإنجيل، وقد قامت عليكم الحجّة وظهر الغلط، فكيف تحاجّون، وعلى أي أساس تجادلون في شأن إبراهيم عليه السّلام أنه كان يهوديا أو نصرانيا، وليس لكم به علم ولا نزل في شأنه شيء في دينكم وكتبكم، فمن أين أتاكم أنه كان يهوديا أو نصرانيا؟ والله يعلم ما غاب عنكم ولم تشاهدوه، وأنتم لا تعلمون إلا ما عرفتم وعاينتم وشاهدتم أو سمعتم؟

فهذا إنكار من الله عليهم مثل تلك الدّعاوى والمحاجّة في إبراهيم والمحاجّة فيما لا علم لهم به، وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة الذي يعلم الأمور على حقيقتها"[1].

ومن ثمّ جاء القرآن ليعبر عن من هم أولى الناس به قال تعالى: **﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [آل عمران: 68].

إنّ أحق الناس بالانتساب إلى إبراهيم عليه السلام هم الذين اتبعوه في زمانه، وساروا على منهجه، واحتكموا إلى سنته هم أولياؤه، وحق الناس أيضاً محمد ﷺ والذين آمنوا به من هذه الأمة والله ناصر المؤمنين به وحافظهم[1].

(1) التفسير المنير: الزحيلي (254/3).

وبهذا يمكننا أن نلخص أنَّ جدل أهل الكتاب فيما يفترونه في حق الأنبياء، جدل قائم عن غير علم، وهذا ديدنهم الكفر والعناد والاتهامات الباطلة، وجاء القرآن ليبطل دعواهم فيما أثاروا من الشكوك والشبهات، وأنَّ دين خليل الله إبراهيم عليه السلام على الحنيفية السمحاء، ولم يك من المشركين.

المطلب السابع
طاعة اليهود والنصارى طريق إلى الكفر والضلال

يتمنى أحبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى إضلال أهل الإيمان عن الحق الذي هداهم الله إليه، وذلك بزرع الشبهات ومحاولة كسب بعض المسلمين بإدخالهم في دينهم، وهذا حسداً منهم، ولكنهم خائبون فهم لا يضلون إلاّ أنفسهم، لأنَّ سعيهم في إضلال المسلمين يزيد في ضلالهم هم، والمكر السيء لا يحيق إلاّ بأهله والتعبير في قوله وما يشعرون فيه ذم واحتقار لهم[2]، قال تعالى: **﴿وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾** [آل عمران:69].

"المشهور أنها نزلت حين دعا اليهود حذيفة وعماراً ومعاذاً رضي الله عنهم إلى اليهودية"[3].

وقوله تعالى: **﴿وَدَّتْ﴾** من الود وهو محبة الشيء وتمنى حصوله ووقوعه أي تمنت وأحبت جماعة من أهل الكتاب إضلالكم وإهلاككم عن الحق أيها المؤمنون والمقصود من الطائفة في هذه الآية هم رؤساء أهل الكتاب وأحبارهم من اليهود والنصارى[4].

وقوله تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾** [آل عمران: 70].

"أي: لماذا تكفرون بآيات الله تعالى التي يتلوها عليكم نبيه محمد ﷺ والحال أنكم تعلمون صدقها وصحتها علما يقينيا كعلم المشاهدة والعيان، وتعرفون أنه نبي حقا كما تعرفون أبناءكم.

والاستفهام في قوله: **﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾** لتوبيخهم والتعجيب من شأنهم، وإنكار ما هم عليه من كفر بآيات الله مع علمهم بصدقها.

---

(1) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (409/1)

(2) انظر: التفسير المنير: الزحيلي(260/3).

(3) روح المعاني: الألوسي (88/3).

(4) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (139/2).

وفي هذا النداء إشارة إلى أنَّ ما أعطوه من علم كان يقتضى منهم أن يسارعوا إلى الإيمان لا أن يكفروا بآيات الله الدالة على صدق نبيه ﷺ والتي تتناول القرآن الكريم، والحجج والمعجزات التي جاءهم بها ﷺ"[1].

ويري الباحث أنَّ محبة وطاعة اليهود والنصارى ردة وكفر ظاهر، لأنَّ موالاتهم تعني تأييدهم ونصرتهم على المسلمين، وإنَّ موالاة ومساعدة العدو الصهيوني أمنياً وغيره فسق وضلال كبير، والإسلام لا يقبل أن يقف المسلم في خندق واحد ضد إخوانه المسلمين مع أعداء الله اليهود الذين يحاربوننا ويدنسون مقدساتنا، ومن يتعاون مع العدو الصهيوني المحتل لأرض فلسطين برأت منه ذمة الله ﷻ وذمة رسوله ﷺ، وكذلك علينا أن نعلم أنَّ أهل الباطل لم يدخروا جهدا في العمل على إضلال الأمة، ولم ييئسوا من ذلك مستخدمين كافة الوسائل الترغيبية والترهيبية.

المطلب الثامن

وحدة الدين الحق واختلاف الرسالات والشرائع

في هذا المطلب نتعرف على الميثاق الخالد الذي من أجله بعث الله الرسل جميعًا ذلك أن يُصَدقُ بعضهم بعضا ونعرف أن المنهج الذي جاء به الله قد أنزله الله تعالى على الرسل جميعًا متضمنًا كل ما يجعل الحياة تسير إلى انسجام، والرسل جميعًا جاءوا لتصفية العقائد من أدران الشرك والجاهلية ودعوة الناس إلى الإيمان بوجود الله ووحدانية والانقياد لطاعته والتزام منهجه وشرعه، قال تعالى: **﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾** [آل عمران:81].

بعد أن بيّن الله ﷻ كذب أهل الكتاب وافتراءهم وتحريفهم الكتب السماوية وخيانتهم للعهود والمواثيق أخبر الله ﷻ أنَّه أخذ على كل رسول موثقاً غليظاً كان هو شاهده سبحانه، وأشهد عليه رسله، أنّه مهما أوتي من كتاب وحكمة، ثم جاء من بعده رسول مصدقاً لما معه، أن يؤمن به وينصره ويتبع دينه، وجُعل هذا الميثاق الخالد بينه وبين كل رسول[2].

"فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضًا، لأنَّ جميع ما عندهم هو من عند الله، وكل ما عند الله يجب التصديق والإيمان به، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد عُلم أنَّ محمداً ﷺ هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم

---

(1)انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (139/2).

(2) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (420/1).

الصلاة والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم ﷺ"[1].

ثم يخاطب الله ﷻ من أخذ عليهم الميثاق من الأنبياء، هل أقروا وقبلوا بهذا الميثاق المؤكد؟ فيكون الجواب بالإقرار والاعتراف بذلك، فيكون معنى قوله تعالى فليشهد بعضكم على بعض وأنا معكم شاهدٌ عليكم وعلى إقراركم والله خيرُ الشاهدين.

وهذه المحاورة على طريق التمثيل توكيدٌ عليهم وتحذير من نقض العهد والميثاق والرجوع عن الإقرار الذي أقروا وشهدوا على أنفسهم به، قال تعالى: **﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [آل عمران:82].

أي فمن تولى بعد هذا الميثاق المؤكد واتخذ دين الله للتفريق والعداء، ولم يؤمن بالنبي الخاتم المهيمن على جميع الرسالات فأولئك هم الفاسقون الخارجون عن حد الاستقامة والناقضون للعهود والمواثيق[2].

وبعد أن بيّن الله وحدانيته وأنَّ رسله متفقون عليها، ذكر حال منكري نبوّة ﷺ قال تعالى: **﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾** [آل عمران:83]، أي: أيتولون عن الحق بعد ما تبين ويبغون غير دين الله وهو الإسلام والإخلاص له في العبادة في السر والعلن، وقد خضع لله تعالى وانقاد لحكمه أهل السموات والأرض، ورضوا طائعين مختارين لما يحل بهم من تصاريف أقداره.

فالدين الحق هو إسلام الوجه لله تعالى والإخلاص له، وأنَّ الأنبياء جميعًا كانوا على ذلك، وقد أخذوا بذلك ميثاقهم على أممهم، ولكنّ اليهود والنّصارى أنكروا ولم يقروا بالحق، إذ جاءهم النبي الموعود به يدعوهم إليه فكذبوه. وقوله: **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** أي وإليه يرجع من اتخذ غير الإسلام دينا من اليهود والنصارى وسائر الخلق، وحينئذ يجازون بإساءتهم وترك الدين الحق وفي هذا وعيد وتهديد لهم[3].

ثم يأتي بعد هذا الأمر من الله للنبي ﷺ ببيان حقيقة هذا الدين واعلانه للأمة كافة، فقد جاء ﷺ ليحمل أعباء الأمة فالله تعالى يقول له: **﴿قُلْ آمَنّا﴾** كان القياس أن يقول قل آمنت أو أن يقول: **﴿قُولُوا آمَنّا﴾** لكنَّ الحق سبحانه يضع كل كلمة في موضعها فتصبح الكلمة جاذبة لمعناها ويصبح كل معنى عاشقا لكلمته، وفي السياق القرآني: **﴿قل آمنّا﴾** ليتضح لنا أنَّ محمدا

---

(1) تيسير الكريم الرحمن: السعدي (136/1).

(2) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (280/3).

(3) انظر: تفسير المراغي أحمد المراغي (201/3).

ﷺ ممتزج في أمته، وأمة الإسلام في طواعية وانقياد لرسولها، وفي هذا اشعار للمخالفين أنَّ الرسول ﷺ سيكون ذا عصبية إيمانية قوية فلو قال قل آمنت لكان المعنى من ذلك أن الرسول لن يملك إلاّ إيمانه فقط[1].

قال تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾ [آل عمران:84-85].

أي قل يا محمد: آمنت وأمتي بوجود الله ووحدانية وسلطانه. فهذا أمر لرسول الله ﷺ بأن يخبر عن نفسه وعن أمته حقيقة هذا الدين وأنه الدين الذي لا يقبل الله من الناس سواه[2].

"وأن يقولوا صدَّقْنا بالله المعبود وحده، ومرسل رسله، وآمنا بما أنزل الله علينا من القرآن والشريعة، وما نزَّله من كتب وشرائع على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وأولاده الأسباط الإثني عشر، وما أنزل الله على موسى من التوراة وعيسى من الإنجيل، وما أنزل على سائر النبيين لا فرق في الإيمان بين أحد منهم. ونحن بذلك قد أسلمنا وجهنا لله"[3].

ثم تتجلى عناية الله ببيان معنى وحقيقة الإسلام، كي لا يتسرب إلى الأذهان أنّه كلمة تقال باللسان أو تصديق يستقر في القلب دون معرفة تحقيق المنهج الذى أراده الله ﷻ، فالإسلام هو أن نستسلم ونخضع لله، فما أحوج الناس اليوم إلى معرفة وحقيقة هذا الإسلام الذي ينقذهم من ظلم الحكام الذين لم يحتكموا بما جاء به الإسلام من تعاليم، فهم في زماننا كثر لا كثّرهم الله كيف لا وهم الذين أذاقوا أهل الأيمان ويلات العذاب، ولا ينقذ أهل الإيمان مما هم فيه إلا الاسلام الذي يريده الله لا كما يريده أهل الأهواء من البشر، ومن لم يقبل بالإسلام على النحو الذي أراده الله فهو في الآخرة من الخاسرين[4]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85].

قال الحافظ ابن كثير[5].

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (1061).

(2) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (284/3).

(3) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر (84/1).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (423/1)

(5) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، المتوفى سنة 747 هـ. دار الشعب بالقاهرة 1390 هـ.

: "أي: من سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه"[1] **﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**" [آل عمران: 85]، لأنَّه أضاع ما جُبلت عليه الفطر السليمة من توحيد الله والانقياد له، وخسر نفسه إذ لم يزكها بالإسلام لله، وإخلاص السريرة له كما قال تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾**"[2].

فالدين عند جميع الأنبياء هو الإسلام، ولكن كل نبي جاء برسالة وتشريع يتناسب مع البيئة والقوم الذي أُرسل فيهم، وعلينا أن نسعى لإقامة مؤتمر تحت عنوان(حوار الحضارات) للاستفادة مما تقدمه الأمم من حضارات مدنية لتبادل المعرفة

المطلب التاسع

جزاء الكافرين بعد إيمانهم ومن تاب تاب الله عليه

بعد بيان حقيقة هذا الدين الذي ارتضاه الله، والذي من أجله ابتعث الله الرسل، وأنّه لن يقبل من أحد غيره، ذكر الله حال وجزاء من أصر على الكفر بعد الأيمان.

قال تعالى: **﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران:86-89].

لابد أنْ نعلم أنَّ الهداية نعمة وفضل وإحسان من الله على العباد الذين أطاعوه ورفضوا ما يُعبد من دونه سبحانه، وتبدأ الآيات بالحديث عن الذين كفروا كيف يسلكون طريق الهداية وقد كفروا بعد إيمانهم بعد أنْ شهدوا أنَّ الرسول حق من بعد ما جاءتهم البينات الواضحة على صدق نبوته، ولكنَّهم عاندوا وكفروا وتنكبوا عن طريق أهل الإيمان فضلوا وزاغوا فأزاغ الله قلوبهم **﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** [آل عمران:86].

فكما أنَّ الهداية نعمة، فإنَّ الضلال عقوبة لمن اختار الزيغ والانحراف قال تعالى: **﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [فصلت: 17]. فهؤلاء ممن تنكبوا عن الطريق القويم وتركوا هداية العقل بعد ظهور النبوة، لا يهديهم الله لظلمهم وكفرهم بآيات الله ﷻ[3].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (70/2)

(2) تفسير المراغي احمد المراغي (205/3).

(3) انظر: تفسير المراغي، المراغي(206/3).

ثم يخبر الله ﷻ عن عقوبة المرتدين بعد إيمانهم قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: 87].

فكان جزاؤهم من جنس أعمالهم أن استحقوا لعنة الله، واللعنة هي الطرد من رحمة الله، وما داموا قد طردوا من رحمة الله فالملائكة وجميع الناس تلعنهم لأنَّهم انحرفوا عن منهج الله بالكفر بعد الإيمان، ومع ذلك فهم خالدون في اللعنة قال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [آل عمران: 88][1].

أي ماكثين في اللعنة إلى الأبد لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولاهم ينظرون لا يكون لديهم مهلة للاعتذار لأنّ زمن الإمهال قد مضى وقد أعذر الله منهم[2].

ثم استثنى الله من هؤلاء من تاب وأناب وترك الكفر وأصلح فيما بينه وبين الله وندم على ما ارتكبه من تقصير فإنّ الله غفور رحيم[3].

فعلى الإنسان المسلم أن يحصن نفسه فلا يقع في منزلقات الجدل العظيم، بل عليه الاطلاع والمعرفة، ليزداد إيمانًا بالله ﷻ والتقرب إليه لنيل رضوانه، والفوز بجناته، والبعد عن عقابه.

المطلب العاشر

إصرار أهل الكتاب على الكفر وصدهم عن سبيل الله

بعد أنْ بيّن الله موقف أهل الكتاب من كفرهم وعدمُ إيمانهم بما جاء به الرسول ﷺ من دلائل ومعجزات تدل على صدق منهجه، جاء التوبيخ لهم على إصرارهم على الكفر وصدهم عن دين الله، فجاء الخطاب لهؤلاء ليدعوهم الى اللين وتغيير موقفهم تجاه الرسولﷺ والتصديق برسالته مع علمهم بأنه على الحق[4]، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 99].

وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب فيه دليل على قبح كفرهم بآيات الله وتوبيخ وتقريع لهم، لأنّ معرفتهم بالآيات أقوى وإن زعموا أنّهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما[5].

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي (1603/3).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي (137/1).

(3) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (290/3).

(4)انظر: التفسير المنير، الزحيلي (22/4).

(5) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (30/2).

والخطاب للنبي ﷺ أن يسأل هؤلاء الذين كذبوا بما جاء به الحق، ما هو سبب هذا الإعراض والزيغ عن طريق الهدي وما هو الدليل على إعراضهم وكفرهم بآيات الله إذ إنَّ آيات الله تُزكي النفوس وترتقي بها أعلى الدرجات، وما عنادهم القائم على الحسد والكبر والاستعلاء إلا ميلاً عن الحق مع معرفتهم أنّ ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق ولكنّهم غيّروا وبدّلوا وكذبوا على أنفسهم وسيُجزون بما عملوا والله شهيد على ما يعملون[1].

ولم تزل الآيات تعاتب أهل الكتاب على قبح كفرهم وصدهم عن سبيل الله، يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن بمحمد؟ قاصدين بصدكم أن تكون سبيل الله معوجة، غير مستقيمة ولا رشيدة، تطلبون لدين الله الاعوجاج والانحراف عن الحق والقصد الصحيح، والحال أنّكم تشهدون في أعماق نفوسكم بصدق محمد، وأنتم الشهود العدول عند قومكم، وما الله بغافل عن خبايا نفوسكم وأعمالكم وسيجازيكم عليها[2].

وبهذا على الأمة أن لا تغتر بانتمائها للإسلام، بل عليها أن تحافظ على دينها وأخلاقها، وأن تلتزم تعاليمه

المطلب الحادي عشر
جزاء المؤمنين من أهل الكتاب

قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: 113-115].

لقد وضحت كتب التفسير أنّ هذه الآيات جاءت لتفصل بين أهل الكتاب وتبين حقيقة من الأحسن والأصدق عملاً مع الله إذ إنَّ منهم المؤمن ومنهم الفاجر ولا يستوون عند الله.

قال ابن عباس رضي الله عنه إنّ هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام([3])

وأسد بن عبيد([1]) وثعلبة بن سعية([2]) وأسيد بن سعية ([3]) وغيرهم، أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ أي: ليسوا كلهم

---

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (230/4).

(2) انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي (219/1).

(3) هو: عَبْد اللَّهِ بن سلام، يكنى أبا يوسف وكان اسمه الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عَبْد اللَّهِ، وهو من ولد يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

على حد سواء، بل منهم المؤمن ومنهم المجرم، ولهذا قال تعالى: ﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَايِمَةٌ ﴾ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشرعه متبعة نبي الله، فهي قائمة يعني مستقيمة ﴿ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ أي: يقومون الليل، ويُكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَـٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَـٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [آل عمران: 199] وهكذا قال هاهنا: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ ﴾ أي: لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ أي: لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملاً[4].

ومن الأثار التربوية التي ينبغي أن نوضحها في هذا المطلب ما يأتي:

1. إنَّ المؤمنين يتفاوتوا في إيمانهم وتطبيقهم لمنهج الله ﷻ فلا يركنوا إلى الانتماء إلى هذا الدين فقط، بل عليهم أن يعلموا مابوسعهم لينالوا الدرجات العلا.
2. على الدعاة أن يفهموا طبيعة أهل الكتاب وكيفية التعامل معهم، لا أن يضعوهم كلهم في نفس الكفة.
3. مقاتلة أهل الكتاب الذين يحاربون الإسلام بأموالهم وأنفسهم، وعدم مقاتلة اولئك الذين كفوا أيديهم عن المسلمين.

---

(1) هو: أسد بن عبيد الله بن بشير بن عبيد الله بن أبي بكرة البَكْراوي الثقفي، كنيته أبو بَكْرة.
كان قاضياً بمصر، يروي عن: يزيد بن هارون، وأهل البصرة، حدثنا عنه: ابن خزيمة والناس، وكان ينتحل مذهب أبي حنيفة في الفقه توفي في ليلة الخميس لست خلون من ذي الحجة سنة سبعين ومائتين.
(2) هو: ثعلبة بن سعية بالياء آخر الحروف هو أحد الثلاثة الذين أسلموا يوم قريظة فمنعوا دماءهم وأموالهم لهم خبر في السير يخرج في أعلام نبوة محمد ص قال البخاري توفي ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية في حياة النبي ﷺ.
(3) هو: أسيد بن ثعلبة أسيد بضم الهمزة وفتح السين، هو أسيد بْن ثعلبة الأنصاري شهد بدرًا، وشهد صفين مع علي بْن أَبِي طالب.
أخرجه أَبُو عمر مختصرًا. شهد بدرا، وشهد صفين مع علي بن أبى طالب رضى الله عنه.
(4) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (105/2).

وبعد أن ذكر الله ﷻ حال من سلف من أهل الكتاب وما أعده لهم من ثواب وهم الذين آمنوا، أردف الحديث عن حال من كفر منهم ببيان أنَّ الأموال والأولاد لن تنفعهم ولن تُنقذهم من عذاب الله، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [آل عمران: 116-117].

"والمراد بالذين كفروا في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جميع الكفار، لأنَّ اللفظ عام، ولا دليل بمقتضى تخصيصه بفريق من الكافرين دون فريق. والمراد من الإغناء في قوله: **﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾** الدفع وسد الحاجة يقال: أغنى فلان فلانا عن هذا الأمر، إذا كفاه مؤنته، ورفع عنه ما أثقله منه.

أي: إن الذين كفروا بما يجب الإيمان به، واغتروا بأموالهم وأولادهم في الدنيا، لن تدفع عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئا ولو يسيرا من عذاب الله الذي سيحيق بهم يوم القيامة بسبب كفرهم وجحودهم، وقد أكد سبحانه عدم إغناء أموالهم ولا أولادهم عنهم شيئاً في وقت هم في أشد الحاجة إلى من يُعينهم ويدفع عنهم بحرف « لن» المفيد لتأكيد النفي وخص الأموال والأولاد بالذكر، لأنّ الكفار كانوا أكثر ما يكونون اغتراراً بالأموال والأولاد، وقد حكى القرآن غرورهم هذا بأموالهم وأولادهم في كثير من الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿وَقالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوالًا وَأَوْلاداً وَما نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾**"[1].

المطلب الثاني عشر
الثقة بالكفار وموالاتهم وإطلاعهم على أسرار المؤمنين خيانة لله ورسوله

لا يخفي على كل ذي لب ما تقاسيه الأمة اليوم من أزمات وجراحات، وإنَّ من أقسى أزمات هذه الأمة هي الخيانة، وهي الضربة القوية في خاصرة الأمة، وإنَّ من أشد أنواع الخيانة موالاة أعداء الله والتصفيق للباطل، وخصوصاً إذا جاءت هذه الخيانة ممن نتوقع منه العون والنصرة ومثال ذلك التنسيق الأمني والتطبيع العربي مع أعداء الأمة من اليهود.

وتنتقل الآيات لتحذير المؤمنين من فئةٍ أخرى من أهل الكتاب وهم أهل النفاق وما أكثرهم في زماننا لا كثّرهم الله، قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ**

---

(1) التفسير الوسيط، طنطاوي (230/2).

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 118-120].

وهذه الآيات فيها التحذير للمؤمنين من عقد الصِلات والصداقات العميقة مع الكافرين والمنافقين لأنّها تؤدي إلى تفشي الأسرار، والاطلاع على أحوال المسلمين مما تقضي المصلحة بكتمانه، ويؤدي إلى مخاطر كبيرة تؤثر على كيان الأمة الإسلامية، وهذا التحذير في غاية الحكمة والتعقل وحماية المصالح العامة العليا شأن كل أمة لا تأتمن على أسرارها إلاّ خواصها، ولا يصح أن تكون القرابات والصداقات والعهود والمحالفات والجوار والرضاع والمصاهرة وغير ذلك سبباً في توطيد العلاقات والثقة بالأعداء، ولا ينبغي لمؤمن بالله ورسوله من اتخاذ اليهود والنّصارى والمنافقين بطانة أي أصدقاء وخواص ومستشارين، تُطلعونهم على أسراركم ودخائلكم، لأنّ ذلك يترتب عليها أضرار وخيمة منها مما يلي:

1. لا يقصرون في إضراركم وإفساد أموركم، ما استطاعوا ذلك.
2. يتمنّون إلحاق الضرر والمشقة والهلاك بكم في دينكم ودنياكم.
3. يظهرون لكم العداوة والبغضاء أثناء الكلام وعلى صفحات الوجوه وفلتات اللسان، ويكذبون كتابكم ونبيكم.
4. ما تخفي صدورهم من الحسد والحقد والبغضاء للإسلام وأهله أشد وأكثر مما يظهرون.

فإذا اطمأن الحاكم أو الإمام المسلم إلى موادة غير المسلمين، ووثق بهم، جاز التعاون معهم، كما حدث من عون اليهود للمسلمين في فتوح الأندلس، وكما وقع من القبط إذ عاونوا المسلمين في فتح مصر، وجاز توظيفهم في أعمال الدولة الإسلامية، فقد جعل عمر بن الخطاب ﷺ رجال دواوينه من الروم، وتابعه الخلفاء من بعده على هذا النهج، وأناط العباسيون أعمال الدولة باليهود[1].

قال تعالى: ﴿هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط﴾ [آل عمران: 119-120].

---

(1)انظر: التفسير المنير، الزحيلي (56/4) بتصرف يسير.

تشير هذه الآيات للتحذير من مخالطة المنافقين، والذين يظهرون محبتهم للمؤمنين، وهم خلاف ذلك، وقَوْلُهُ: ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾ أي: تُحبونهم بسبب ما بينكم وبينهم من الرضاعة والمصاهرة ولا يُحبونكم بسبب كونكم مسلمين، وقيل تُحبونهم بسبب أنَّهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب، ولا يحبونكم لأنَّهم يعلمون أنَّكم تحبون الرسول وهم يُبغضون الرسول ومحب المبغوض مبغوض(1).

وكان هؤلاء المذكورون من المنافقين الذين حذرنا الله منهم، إذا لقوا الذين آمنوا من أصحاب محمد ﷺ قالوا آمنَّا، وإنَّما كان إيمانهم تقيّة وحذراً من المؤمنين على أنفسهم وانكشاف أمرهم، ولكنهم إذا خلوا مع كبراءهم وابتعدوا عن أهل الإيمان انكشفوا على حقيقتهم، وكان يعضون على أصابعهم من الغيط كناية على شدة غيظهم ومكرهم ولا يحيق المكر السيء إلاّ بأهله(2).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

تكشف لنا هذه الآية حقيقة ما يضمره أهل النفاق من عداوة وبغضاء لأهل الإيمان، فإذا مست أهل الإيمان حسنة كالنصر والغنيمة استاءوا وحزنوا، وعبر بالمس إشارة إلى أنَّ الحسنة تسوء الأعداء، وإذا أصابت أهل الأيمان سيئة كهزيمة أو جذب فرحوا بها، وعبر بالإصابة إشارة إلى أنَّ السيئة تُفرح الأعداء مهما كانت كبيرة وخطيرة(3).

وبهذا يتبين حجم العداوة والبغضاء في نفوس هؤلاء المنافقين، ولنكن على حذر منهم، لأنّهم يشكلون خطرا كبيراً على هذه الأمة، فالمنافقون أشد خطراً من الكافرين؛ لأنهم عاشوا في الحياة بلا شرف ولا مبدأ، وعاشوا وفي قلوبهم مرض خبيث وغرض ليئم، فعلى أهل الإيمان أن يصبروا ويتحملوا هذا الأذى الحاصل منهم، فالله محيط بهم لا تخفي عليه خافية، وسيجازيهم بما كسبوا ولن يفلتوا من عقاب الله ﷻ.

والناظر إلى واقع المسلمين في العراق واليمن وليبيا وفلسطين يضع يده على مكمن الداء، فاليهود والمنافقون من أبناء هذه الأمة هم وراء كل مصيبة، رغم عملية التضليل التي يقوم بها الاعلام لوجه اليهود القبيح، فعلى الأمة أن لاتنخدع بما يجري اليوم من أحداثن فليعلموا أنَّ هؤلاء هم العدو فليكونوا على حذر منهم.

(1) انظر: التفسير الكبير: الرازي (342/8).

(2) انظر: جامع البيان في تأويل أي القرآن: الطبري (152/7).

(3) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (55/4).

المطلب الثالث عشر
نسبة الفقر إلى الله وتكذيب النبي ﷺ من قبائح اليهود

يُمثّل اليهود أسوأ وأقبح صورة في هذا الكون، فالحياة عندهم قائمة على المال، وقد سخّروا أموالهم في معاداة أهل الحق فالمال عند اليهود هو كل شيء، فاليهودي إذا سلم ماله فلا عليه إذا تلف كل شيء، وضاع منه أي شيء من دين أو خلق، ولهذا جاءت الآية الكريمة بعد أن كشفت الآية السابقة عن جريمة البخل والعقوبة التي أعدها الله لمرتكبيها جاءت لتكشف عن درجة من البخل لم يعرفها الناس إلا في هذا الصنف المحسوب من الناس إنهم لم يجمعوا المال من وجوه الحرام والسحت وحسب، ولم يضنوا عن الإنفاق منه في سبيل الحق والخير وحسب، بل بلغ بهم السّفه والفجور إلى تحدّى الله به، وإعلان الحرب الوقاح عليه، فكانت قولتهم الآثمة تلك، التي حكاها القرآن[1] في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: 181–184].

"يخبر الله ﷻ عن قول هؤلاء الذين قالوا أقبح الكلمات والله من أقوالهم براء، فأخبر أنَّه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم الشنيعة، من قتل الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم ويجازيهم على ذلك أشد العقوبة، وأنَّه يقال لهم بدل قولهم إنَّ الله فقير ونحن أغنياء ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ المُحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأنّ عذابهم ليس ظلماً من الله لهم، فإنَّه ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فإنّه منزه عن ذلك، وإنّما ذلك بما قدمت أيديهم من المخازي والقبائح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب، فالجزاء من جنس أعمالهم[2].

وقد ذكر المفسرون أنَّ هذه الآية نزلت في قوم من اليهود تكلموا بذلك وذكروا منهم فنحاص بن عازوراء، فعن ابن عباس ﷺ، قال: دخل أبو بكر الصديق ﷺ، بيت المدراس، فوجد من يهود أناساً كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حبر يقال له: أشيع فقال أبو بكر: ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم، فو الله إنك لتعلم أنَّ محمداً رسول الله ﷺ، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة

(1) انظر: التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب (657/2).

(2)انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (159/1).

والإنجيل، فقال فنحاص: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنَّه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنَّا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطناه ولو كان غنيا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر ﷺ فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر ﷺ: "ما حملك على ما صنعت؟" فقال: يا رسول الله، إنَّ عدو الله قد قال قولاً عظيماً، زعم أنَّ الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال، فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال: ما قلت ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر: **﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾** الآية(1).

فعلينا أن نعمل على تربية هذا الجيل على عدم حب الدنيا وأن يكون المال في أيدينا، وليس متربعًا على عرش قلوبنا، وإن فتح الله على أحدنا بالمال فلايغتر به، وللاسف الشديد أصبح الكثير من شبابنا يقيس الأمور بالمقاييس المادية، وأصبح المال والقوة هو المعيار في الحكم على تطور الشعوب حتى لو كانت الدولة مفلسة فكريًا.

ثم يخبر الله ﷻ عن رذيلة أخرى من رذائل اليهود قال تعالى: **﴿الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾** [آل عمران:183].

ومقصدهم من وراء هذا القول الذي حكاه القرآن عنهم، فيه خداع وهو أن يظهروا أمام الناس بمظهر المحافظين على عهود الله، وهم على خلاف ذلك، وأنّهم ما تركوا الإيمان بالنبي ﷺ حسداً له، وإنَّما تركوا الإيمان به، لأنَّه لم يأت بالمعجزات التي أتى بها الأنبياء السابقون، فهم معذورون إذا لم يؤمنوا به لأنَّه ليس نبيا صادقاً في زعمهم.

ولا شك أنَّ قولهم هذا ظاهر البطلان، لأنَّ الإتيان بالقربان إذا كان معجزة لرسول لا يستلزم أن يكون معجزة لكل رسول، إذ إنَّ آيات الله في إثبات رسالات رسله متعددة النواحي، مختلفة المناهج، وكون هذا الإتيان بالقربان الذي تأكله النار معجزة لبعض الرسل لا يستدعى أن يكون معجزة لجميعهم ولذا فقد أمر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ أن يرد عليهم بما يُبطل قولهم فقال: **﴿قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾** [آل عمران: 183]. أي: قل لهم يا محمد **﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾** أي بالحجج الواضحة، وبالمعجزات الساطعة الدالة على صدقهم **﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾** أي وجاءكم هؤلاء

(1)تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (176/2).

الرسل بالقربان الذي تأكله النار ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ بعد أن جاءوكم بتلك المعجزات الباهرة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾ في دعواكم أنَّكم تتبعون الحق، وتطيعون الرسل متى أتوكم بما يشهد بصدقهم؟.

فالجملة الكريمة ترد على هؤلاء اليهود بأبلغ الوجوه التي تثبت كذبهم فيما يدّعون، لأنّ قتلهم للأنبياء بعد أن جاءوهم بالمعجزات الواضحة الدالة على صدقهم، دليلٌ على أنَّ هؤلاء اليهود قد بلغوا منتهى الجحود والظلم والعدوان، وأنّ دعواهم أنّ إيمانهم بمحمد ﷺ متوقف على مجيئه بالقربان الذي تأكله النار دعوى كاذبة، لأنَّ من جاءهم بالقربان كان جزاؤه القتل منهم(1).

فعلى الجيل أن يتربى على التضحية وعدم ربط ولائه وانتمائه بمقدار ما يمكن أن يحصل عليه من امتيازات، كما يحدث اليوم من يدفع أكثر يكون ولائي وانتمائي إليه

المطلب الرابع عشر
الموت والابتلاء مصير كل نفس

أولاً: الموت مصير كل نفس

الموت هو الحقيقة التي لا مفر منها، فالجن والإنس سيموتون وهذه الحياة الدنيا هي دار ممر إلى دار مستقر فلا يغتر الإنسان بها، لأنَّه في يوم من الأيام سيغادر هذه الحياة وسيقصم الموت ظهره، وينتقل بعدها إلى حياة غير هذه الحياة، ولا يمكن لكائناً من كان أنْ يؤخِر عن نفسه الموت ولو لحظة، لذلك يجب علينا أن نؤمن بهذه الحقيقة وأن نستعد لها.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: 185].

هذا إخبار عام من الله تعالى يعم جميع الخلائق بأنّ كل نفس ذائقة الموت، قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ. وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ﴾ [الرحمن: 26-27].

وفي الآية تعزية لجميع الناس، فإنَّه لا يبقى أحد على وجه الأرض وفي السماء حتى يموت، وتذوق كل نفس طعم مفارقة الروح البدن، ثم يوم القيامة توفى كل نفس بما عملت، من خير أو شر، وتعطى ثواب عملها الطيب كاملا غير منقوص، ويجازى المسيء الجزاء الأوفى، فلا تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال ذرة(2).

---

(1) انظر: التفسير الوسيط لطنطاوي (359/2)بتصرف بسيط.

(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (193/4).

قال ابن كثير "وقوله: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي: من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة، فقد فاز كل الفوز"(1).

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ: أَنَّ النبي ﷺ، قَالَ: "**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهِ**"(2).

قال المراغي: "والمزحزحون هم الذين غلبت صفاتهم الروحية على الصفات الحيوانية فأخلصوا في إيمانهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، ولم يبق في نفوسهم شائبة من إشراك غير الله معه في عمل من أعمالهم"(3).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فيه تحقير لشأن وأنّها متاع ولكنّه ليس متاع الحقيقة، بل متاع الغرور، المتاع الذي يخدع صاحبه فيحسبه متاعاً حقيقياً وما علم أنّ المتاع الحقيقي له هو نيل أعلى المراتب في مقعد صدق عند مليك مقتدر وهذا المتاع الذي ينبغي على المسلم تحصيله ولا يمكن للإنسان أن يتحصل عليه دون طاعته لله تبارك وتعالى، وعندما يدرك الإنسان حقيقة هذا المتاع الدنيوي يستقر في نفسه حقارة الدنيا، وأنّ ما عند الله خير وأبقى(4).

وما دام أنَّ نهاية الإنسان هو الموت، فهذا يعني أنه سيلاقي الله ﷻ ويقف بين يديه للحساب، وهناك لاينفع الإنسان معذرته، بل على الإنسان أن يقدم بين يدي الله ﷻ عمله الصالح وأن يكون على استعداد لهذه اللحظة.

وبعد أنْ بيّن الله ﷻ تسلية النبي ﷺ فيما سبق تتجلى تسليته في هذه الآية، فيخبر الله ﷻ ويخاطب أهل الإيمان بأنّهم سيتعرضون في المستقبل للمحن والآلام كما تعرضوا من قبل، وأنّ من الواجب عليهم أنْ لا ييأسوا ويتقبلوا ذلك بعزيمة صادقة وصبر جميل.

ثانياً ابتلاء الله للإنسان

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186].

(1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (178/2).

(2)صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير/باب فضل رباط في سبيل الله (299/2) رقم الحديث:2892.

(3) تفسير المراغي، المراغي (153/4).

(4) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (539/1).

وإخبار الله ﷻ للمؤمنين بذلك ليوطنوا أنفسهم على احتمال ما سيجدونه من غير فزع أو جزع، فإن الشدة المتوقعة ضررها على النفس أخف ويسهل احتمالها، أمّا الشدة الغير متوقعة فإنّ ضررها أشد وأخطر لأنها لم تكن في الحسبان.

لتُختبرنّ أيها المؤمنون في أموالكم بما يصيبها من إتلاف ولتُختبرنّ أيضا في أَنْفُسِكُمْ بسبب ما يُصيبكم من جراح وآلام من قِبل أعدائكم، وبسبب ما تتعرضون له من حروب ومتاعب وشدائد، وفضلا عن ذلك فإنكم: ﴿لَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وهم كفار العرب، لتسمعن من هؤلاء جميعا أَذىً كَثِيراً كالطعن في دينكم، والاستهزاء بعقيدتكم، والسخرية من شريعتكم والاستخفاف بالتعاليم التي أتاكم بها نبيكم، والتفنن فيما يضركم.

وقد رتّب سبحانه ما يصيب المؤمنين ترتيبا تدريجيًا، فابتدأ بأدنى ألوان البلاء وهو الإصابة في المال، فإنها مع شدتها وقسوتها على الإنسان إلا أنَّها أهون من الإصابة في النفس لأنَّها أغلى من المال، ثم ختم ألوان الابتلاء ببيان الدرجة العليا منه وهي التي تختص بالإصابة في الدين، وقد عبر عنها بقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً﴾ [آل عمران: 186].

وإنَّما كانت الإصابة في الدين أعلى أنواع البلاء، لأنَّ المؤمن الصادق يهون عليه ماله، وتهون عليه نفسه، ولكنَّه لا يهون عليه دينه، ويسهل عليه أن يتحمل الأذى في ماله ونفسه ولكن ليس من السهل عليه أن يؤذى في دينه[1].

وبعد ما يتعرض له الإنسان من محن وشدائد عليه أن يتسلح بسلاحي الصبر والتقوى، فهما الزاد العتيد الذي يتزود به المؤمنون لاجتياز هذا الامتحان القاسي، واحتمال آلامه وشدائده قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران:186][2].

وعلينا أن نعلم أنّ هذه الحياة الدنيا مهما عظمت فهي حقيرة، فلا مجال للإغترار بها، فالإنسان في آخر المطاف سيمر بمحطة الموت هذه المحطة التي لا مفر للإنسان عنها، فالفائز في الآخرة هو من عمل لما بعد الموت، وقدم الباقية على الفانية، نسأل الله ﷻ أن يُحسن خاتمتنا وأن يرزقنا قبل الموت توبة وأن يتوفنا وهو راض عنا، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (362/2).

(2)انظر: التفسير القرآني: عبدالكريم الخطيب (666/2).

المبحث الثاني
التوجيهات التعبدية المستنبطة من سورة آل عمران

من رحمة الله بعباده أنْ نوّع لهم في العبادات ليستغلها الإنسان في وجوه الخير، فالعبادة ليست مقتصرة على الشعائر دون غيرها، فهي شاملة لجميع أعمال العباد الصالحة، فلو أكل المسلم أو شرب بقصد التقوّي على الطاعة فإنه يثاب على ذلك، ولابد أن نعلم علم اليقين أننا خلقنا لمقصد عظيم ألا وهو عبادته ﷻ قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: 56]، فإذا أهمل الإنسان ذلك المقصد، فإنه يسلك مسلك البهيمة ولا يعتبر له قيمة في هذه الحياة، والله تعالى غني عن عبادتنا وإنما نحن المحتاجون إلى عبادته لفقرنا إليه سبحانه، وقد جاءت سورة آل عمران ببعض التوجهات التربوية التعبدية والتي تشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول
محبة الشهوات الدنيوية فتنة للإنسان

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: 14].

تُبين هذه الآية حقيقة هذه الدنيا وأنَّها زخرفت للناس لدرجة أنهم أحبوها حباً جماً، ومن هذه الشهوات التي زينت وحببت للناس: النساء والبنين والأموال من الذهب والفضة وما شابهها وكل هذا ما يستمتع ويستلذ به الإنسان في دنياه لا يساوي شيئاً مما عنده سبحانه والآخرة هي خير المرجع والثواب.

وفي هذه الآية تذكرة وعظة للمسلمين أن يثبتوا على دينهم، وألا يغتروا بهذه الحياة الدنيا وزينتها التي تلهيهم عن الحياة الباقية، "وتوبيخ لليهود إذ آثروا الدنيا على الآخرة، فنبذوا اتباع محمد ﷺ خوف أن تذهب رياستهم"(1).

قال المراغي: "معنى تزيين حب الشهوات للناس، أن حبها مستحسن لديهم لا يرون فيه قبحا ولا غضاضة، ومن ثم لا يكادون يرجعون عنه، وهذا أقصى مراتب الحب، وصاحبه قلّما يفطن لقبحه أو ضرره إن كان قبيحا أو ضارّا..."(2).

---

(1) الهداية إلى بلوغ النهاية: أبو محمد مكي بن أبي طالب (966/2).

(2) تفسير المراغي: المراغي (108/3).

وإنَّ فطرة الله للناس على حب هذه الشهوات ما هو إلا ابتلاء واختبار كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7] فلا يقصد من هذه الآية المنع من مجرد حب معتدل للشهوات، وإنما الممنوع المبالغة في الحب والإسراف في الشهوات، والاشتغال بها، حتى تطغى على العقيدة والدين، ويهمل أمر الآخرة، ولقد زيّن الله حب الدنيا للناس وغرس حبها في قلوبهم حتى صارت غريزة عندهم، وذلك من أجل تعمير الدنيا وتقدمها، فلو لم يحبها الناس لأهملوها وقصّروا في بناء معالمها، وشهوات الدنيا كثيرة تشتمل على حب النساء والأبناء وتكديس الأموال، وجمع الخيول المسومة أي المعلّمة أو السائمة التي ترعى في المروج والمراعي، واقتناء الأنعام (المواشي) وزرع الحبوب وإعداد البساتين، وذلك كله متاع الحياة الدنيا وزينتها أي ما يستمتع به وينتفع به لمدة معلومة محصورة، وتكون الدنيا مذمومة إذا كانت سبباً للشر والبعد عن الله، وعند ذلك تكون خطرا على صاحبها، أما إن كانت سبباً في الخير، ولم تمنع صاحبها من القيام بواجباته الدينية والخيرية والإنسانية، فتكون خيرا له، وعند الله حسن المرجع والمآب(1).

وبهذا يتبين أنّ هذه الحياة الدنيا ليست بثمينة وأنَّ متاعها إلى زوال، فعلى الإنسان أن يبادر ويشتغل للحياة الباقية وهي الحياة الآخرة؛ لأنَّ ما عند الله يوم القيامة خير من هذه الحياة الدنيا التي لا تساوي شيء، فالموفق في هذه الحياة من آثر آخرته على دنياه واختار ما عند الله وما عند الله خير وأبقى وأحسن أجراً.

المطلب الثاني

عبادة الله والسير على الصراط المستقيم هي عقيدة الأنبياء جميعاً

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران:51]، لقد جاءت هذه الآية في بيان العقيدة التي جاء بها عيسى عليه السلام وهذا التعبير القرآني ورد على لسان عيسى عليه السلام بزيادة بعض الحروف في موضعين آخرين غير هذه الآية قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم:36] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:64].

شرف الإنسان في هذا الكون أن ينتسب إلى ربه في العبودية، لأنَّها هي أشرف مقام، والعبادة هي الغاية التي خُلق منها الإنس والجان قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:59].

---

(1) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (179/1).

والهدف من بعث الأنبياء والرسل دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، فقد جاء الأنبياء يدعون الناس إلى عبادة الله سبحانه وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، لأنَّ عامة البشر يعتقدون بفطرتهم أنَّ للعَالم خالق يعبدونه ويدعونه ولا يخرجون عن هذه الفطرة إلا بسبب من الأسباب كالتقاليد وتربية الآباء وغيره من الأسباب التي تجعل بعض البشر يميلون إلى كل إلهٍ غير الله تعالى، فعن أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **(ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو يمجسانه أو ينصِّرانه)**[1].

فالأنبياء والرسل جاءوا ليعيدوا هذه الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهي توحيد الله ﷻ وإفراده بالعبادة[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾ "وإنما أظهر سيدنا عيسى ﵇ الخضوع، وأقر بالعبودية لكيلا يتقولوا عليه الباطل فيقولوا: إنه إله وابن إله، لأن إقراره بالعبودية لله يمنع مما تدَّعيه جُهال النَّصارى عليه فَاعْبُدُوهُ أي لازموا طاعته التي هي الإتيان بالأوامر والانتهاء عن المناهي، أي لما كان الله تعالى رب الخلائق بأسرهم وجب على الكل أن يعبدوه"[3].

والخلاصة تظهر في أنَّ الطريق السويّ التي انتهجها الأنبياء والمرسلون، هي توحيد الله ﷻ في ألوهيته وربوبيته، وهي المؤدية إلى خيري الدنيا والآخرة، وهذه هي المهمة التي لأجلها ابتعثهم الله ﷻ من أجلها.

المطلب الثالث

نوع النفقة المبرورة وجزاء الإنفاق

قال تعالى: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 92].

إنَّ هذه الآية فيها عدد من الأحكام والفوائد ولعل من أبرزها جواز حب المال على الوجه المشروع الذي أراده الله ﷻ، وضابط الصدقات التي يتحقق بها البر هو الإنفاق مما يحبه الإنسان، ويتبين للباحث أنَّ الآية لم تحدد نوع النفقة ليتسع معنى الإنفاق ليشمل كل وجوه البر والحث عليها ترغيبًا للأجر والمثوبة، ومنها الصدقات والزكوات والكفارات.

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه (94/2)،رقم الحديث1358.

(2) انظر: كتاب توحيد العبادة: شريعت سنگلجي (22).

(3) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: الجاوي (127/1).

والسبب في نزول هذه الآية؛ أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك ﷺ، يَقُولُ: **(كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ" فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)، تَابَعَهُ رَوْحٌ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، وَإِسْمَاعِيلُ: عَنْ مَالِكٍ "رَايِحٌ"[(1)].**

وفي هذا ترغيب من الله ﷻ لعباده للإنفاق في طرق الخير وبذل الغالي والنفيس، فقال **﴿لَنْ تَنَالُوا﴾** أي: لن يصل ولن يدرك الإنسان البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، **﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾** أي: ما تحبونه من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنَّكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم[(2)].

"قوله تعالى: **﴿ لَنْ تَنَالُوا﴾** يعني: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة، وقيل: الخير، وقال الحسن: أن تكونوا أبرارا"[(3)].

وتعددت أقوال العلماء في المراد بالبر في هذه الآية إلى عدة أقوال منها:

قيل: الْبِرّ هو الجنة عن عمرو بن ميمون.

وقيل: الْبِرّ هو الإسلام، إن كان في الكافرين.

وقيل: لن تنالوا درجات الجنة، وما عند اللَّه من الثواب إلا بإنفاق ما تحبون[(4)].

يقول ابن عجيبة: "لن تنالوا برَّ الله، الذي هو الرضى والرضوان، حَتَّى تُنْفِقُوا بعض ما تُحِبُّونَ من المال وغيره"[(1)].

---

(1)صحيح البخاري، البخاري، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب،(199/2)، رقم الحديث:1461.

(2) تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص138).

(3) تفسير البغوي: البغوي (66/2).

(4) انظر تفسير الماتريدي: الماتريدي(425/2).

وقوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ففيه دليلُ على اخلاصهم وأخذ القليل من الصدقة؛ لأنَّهم كانوا يمتنعون عن قليل التصدق استحقارًا، فأخبر أنَّه بذلك عليم وإن قلَّ، بعد أن يكون ذلك للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[2].

والخلاصة: أنَّ من أعظم الصدقات أن ننفق مما نحب، لذا ينبغي على المسلم أن ينفق من أغلى ما يملكه ويحبه، والله سبحانه تعالى طيب ولا يقبل إلا طيباً، وما دامت هذه الصدقة في سبيل الله ﷻ فلن تضيع عنده سبحانه، ولقد كان السلف رحمهم الله إذا أحبوا شيئاً جعلوه لله سبحانه، فكل ما يقدمه العبد في سبيل الله من صدقات وغيرها من الأعمال الصالحة يجد ثوابه عند الله مضاعفاً قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:20].

المطلب الرابع

الرد على اليهود في تحريم بعض الأطعمة

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: 93-95].

لقد جاءت هذه الآيات الكريمة لإقامة الحجة والبرهان على اليهود الذين أثاروا الشبهات حول إبراهيم عليه السلام روي أنَّ اليهود كانوا يُعَوِّلُونَ في إنكار شرع محمد ﷺ على إنكار النسخ، فأبطل الله تعالى عليهم ذلك بأنَّ كل الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالاً، ثم صار حراماً عليه وعلى أولاده، فحصل النسخُ، وبطل قولكم: النسخ غير جائز، فلما توجَّه على اليهود هذا السؤالُ أنكروا أن تكون حرمةُ ذلك الطعام الذي حُرِّم بسبب أن إسرائيلَ حرَّمه على نفسه، فأثاروا الشبهات وزعموا أن ذلك كان حراماً من زمان آدم إلى زمانهم، فعند هذا طلب الرسول ﷺ منهم أن يأتوا بالدليل ويُحْضِروا التوراةَ؛ فإنَّ التوراةَ ناطقة بأنَّ بعض أنواع الطعام إنَّما حُرِّم بسبب أنّ إسرائيلَ حرَّمه على نفسه، فأبوا وخافوا من الفضيحة، وامتنعوا من إحضار التوراة، وهذا مثال يدل على افتراءهم على التوراة

(1) البحر المديد: ابن عجيبة (381/1).

(2) انظر: تفسير الماتريدي: الماتريدي (425/2).

وتحريف مضمونها، فحصل عند ذلك أمور كثيرة تُقَوّي القولَ بنبوة محمد ﷺ وأنَّ دعواهم كانت كاذبة منها: أن النسخ قد ثبت لا محيصَ عنه، وهم يُنْكِرُونه.

ومنها: ظهور كذبهم للناس، فيما نسبوه إلى التوراة.

ومنها: أنَّه ﷺ كان أمِّيًّا، لا يقرأ ولا يكتب، فدل على أنَّه لم يعرفُ هذه المسألةَ الغامضةَ إلا بوحي من الله تعالى.

إنَّ اليهود قالوا له: إنَّك تدَّعي أنَّك على ملة إبراهيم عليه السلام ، فكيف تأكل لحوم الإبل وألبانَها مع أنَّ ذلك كان حراماً في دين إبراهيم عليه السلام، فلست أنت على ملة إبراهيم، فجعلوا ذلك شبهةً طاعِنةً في صحة دعواه، فأجابهم النبيﷺ على هذه الشبهة وقال: إنَّ ذلك كان حلالاً لإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاق ويعقوبَ، إلا أنَّ يعقوبَ حرَّمه على نفسه، لسبب من الأسباب، وبقيت تلك الحُرْمَةُ في أولاده، فأنكر اليهودُ ذلك، وقالوا: ما نحرمه اليوم كان حراماً على نوح وإبراهيمَ حتى انتهى إلينا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمرهم النبي ﷺ بإحضار التوراةِ، وطالَبَهُمْ بأن يستخرجوا منها آيةً تدل على أنَّ لحومَ الإبل وألبانَها كانت محرمةً على إبراهيم، فعجزوا عن ذلك، وافتضحوا، فظهر كذبُهم[1].

وبين السعدي المراد بالآية أنَّ أي ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع عناداً وتكبراً، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ وقيام الآيات البينات المتنوعات على صدقه وصدق من نبَّأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها، فلهذا قال تعالى: **﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾** أي: فيما أخبر به وحكم، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا بألسنتهم: صدق الله، معتقدين بذلك في قلوبهم عن أدلة يقينية، مقيمين حجة هذه الشهادة على من أنكرها، ومن هنا ندرك أن أعظم الناس تصديقا لله أعظمهم علما ويقينا بالأدلة التفصيلية السمعية والعقلية، ثم أمرهم باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس على ملة إبراهيم مشركون غير موحدين[2].

ويتبين في ضوء هذه الآية صدق نبوة محمد ﷺ وتأكيد صلة المسلمين بإبراهيم عليه السلام، وتظهر حقيقة افتراء اليهود على التوراة وتحريف مضمونها، ويخبر النبي ﷺ بصدق الله جل جلاله فيما أخبر وفيما شرعه من أحكام، ويبين شرعة إبراهيم عليه السلام واتباع ملته، وإنّ ما يحتج به اليهود من

---

(1)انظر: اللباب في علوم الكتاب: الدمشقي (389/5-390). (بتصرف بسيط).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (138/1).

تحريم الطعام على نفس يعقوب ﷺ إنَّما كان التحريم لخصوصية كان يعلمها، والله ﷻ لم يحرم عليه شيئاً، لذلك شأن اليهود هو الظلم والافتراء والقول على الأنبياء بالباطل.

ومن الدروس المستفادة من هذا الجانب مايأتي:

1. التزام الأخذ بالأحكام الشرعية التي فرضها الله ﷻ.
2. لايجوز التأويل أو التحريف أو التعطيل لما شرعه الله.
3. لايجوز التعنت بالأراء متى استبان لك الحق.

المطلب الخامس
البيت الحرام منزلته عظيمة ومن دخله كان آمناً

ولما أمر الله ﷻ باتباع ملة إبراهيم في التوحيد وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته الحرام بالحج وغيره، وهناك من النصوص الشرعية والشواهد العديدة ما يؤكد فضل وشرف ومكانة هذا البيت قال تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران:96-97].

في هذه الآية يتجلى فضل البيت الحرام إذ هو قبلة المسلمين ومصدر هدايتهم ومراح أفئدتهم قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنَّ أول بيت وضع للناس، أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونسكهم، يطوفون به ويصلون إليه ويعتكفون عنده..."[1].

وقد جاء ذكر مكة في مواضع عديدة من القرآن الكريم أذكر منها:

1. **بكة:** قال تعالى: **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾** [آل عمران: 96].
2. **أم القرى:** قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾** [الشورى:7].
3. **مكة:** قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾** [الفتح24].
4. **البلد الأمين:** قال تعالى: **﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾** [التين:3].

قال البغوي: ومعنى قوله تعالى: "**﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾** قال جماعة: هي مكة نفسها، وهو قول

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (77/2).

الضحاك[1]، وقال الآخرون: بكة موضع البيت ومكة اسم البلد كله، وقيل: بكة موضع البيت والمطاف، سميت بكة: لأن الناس يتباكون فيها، أي يزدحمون يَبُكُّ بعضهم بعضا، ويصلي بعضهم بين يدي بعض ويمر بعضهم بين يدي بعض"[2].

ولقد حاز هذ البيت على أشرف مقام إذ وصفه الله بالبركة، فقال سبحانه مباركاً وهدى للعالمين كيف لا يحوز على هذه البركة وهو البيت الذي تُجبى إليه الثمرات وفيه تقال العثرات وتجاب فيه الدعوات وتضاعف الحسنات، وهو مصدر الهدايات للمسلمين والمسلمات، تهواه الافئدة ويرتحل إليه الملايين من الناس، وما كانت هذه البركات إلا ببركة دعوات خليل الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: **﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾** [إبراهيم:37].

وفيه آيات واضحات منها مقام ابراهيم، الذي كان يقوم فيه للعبادة قال تعالى: **﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾** ومن دخله كان آمناً من أي اعتداء وإيذاء، فلا يسفك فيه دم حرام، ولا يقتل الشخص فيه ولو كان مطلوبا للثأر أو القصاص[3].

قال ابن عطية: "ومن دخل البيت كان آمنا من النار، وحكى النَّقاش[4] عن بعض العباد قال: كنت أطوف حول الكعبة ليلاً فقلت: يا رب إنَّك قلت: وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً، فَمِنْ ماذا هو آمِنْ يا رب؟ فسمعت مكلماً يكلمني وهو يقول: من النّار، فنظرت وتأملت فما كان في المكان أحد"[5].

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 96-97].

---

(1) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير). كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه. وكان له أخوان: محمد، ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند (سير أعلام النبلاء:الذهبي (598/4)).

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (70/2).

(3) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (13/4).

(4)محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش: عالم بالقرآن وتفسيره. أصله من الموصل، ومنشأه ببغداد. رحل رحلة طويلة. وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعرف بالنقاش. من تصانيفه (شفاء الصدور – خ) في التفسير، و (الإشارة) في غريب القرآن، (الاعلام: الزركلي (81/6).

(5) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (477/1).

وفي هذه الآية بيان لوجوب فريضة الحج مع الاستطاعة، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام لحديث ابن عمر، رضي الله عنهما قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**"(1).

واختلف العلماء هل هو على الفور أو على التراخي؟ وفي الآية ردّ على اليهود لما زعموا أنهم على ملة إبراهيم. قيل لهم: إن كنتم صادقين فحجوا البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام، وقوله من استطاع أي الحج، والاستطاعة عند مالك هي: القدرة على الوصول إلى مكة بصحة البدن، إما راجلاً وإما راكباً، وقيل: الاستطاعة الزاد والراحلة(2).

وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**. "المراد بالكفر هنا جحود كون هذا البيت أول بيت وضعه إبراهيم للعبادة بعد أن قامت الأدلة على ذلك، وعدم الإذعان لما فرضه الله من حجه والتوجه إليه بالعبادة.

وفسر بعضهم الكفر بترك الحج فكأنه قال ومن لم يحج فإن الله غنى عن العالمين، وعبر عنه بذلك تغليظا وتشديدا على تاركه"(3).

وبهذا ندرك عظمة هذ البيت المبارك وحرمته التي لا تضاهيها حرمة، كيف لا وهو أطهر بيت في الأرض، وقد رفع الله ﷻ من شأنه في كتابه، وله غاية عظمى ألا وهي وحدة المسلمين وبث روح التعاون بينهم، ولو تحققت هذه الغاية العظمى لتغيرت أحوال الأمة إلى الأفضل، ولأنَّ مكة لا يوجد فيها زرع و لا ثمر فقد جعل الله الرحلة للحج والعمرة لعموم الخير والبركة فيها، وإنَّ جميع الأنبياء من لدن آدم إلى سيدنا محمد ﷺ حجوا إلى بيت الله الحرام، وفي هذا دليل على وحدة الدين، ولتعلم البشرية أن الإله واحد والقبلة واحدة والعقيدة واحدة، وعلى ذلك يتطلب عدم الإجرام في حق الإنسانية والتمادي في القتل وممارسة الإرهاب.

المطلب السادس
اجتناب الربا طاعة لله ورسوله

لقد أصبح التعامل بالربا وفي وقتنا المعاصر من الأمور المهمة، وللأسف الشديد أصبح في أمتنا الإسلامية أمراً عادياً تتعامل به رغم علمها بحرمته وخطره الشديد عليها، ويظن البعض

---

(1)صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب بني الإسلام على خمس،(11/1)، رقم الحديث:8.

(2) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي (161/1).

(3) تفسير المراغي: المراغي (10/4).

أن الربا يسهم في تقدم الاقتصاد وتقويته، وما علموا أنَّ التعامل بالربا هو السبب في حلول الأزمات وفساد المجتمعات يُكسد التجارات ويعطل الحرف والصناعات.

ولقد كان للربا مفاسده وأضراره في العصر الجاهلي، ولكنَّ الجوانب القبيحة للربا ما كانت باديةً في عصرهم كما هي باديةٌ في عالمِنا المعاصر، فالعَالم اليوم يعج بالمعاملات الربوية، التي دمرت الأمة في أخلاقها واقتصادها وصحتها ناهيك عما يلحق بالأمة من غضب الله عليها في الدنيا والآخرة[1].

وإذا أردنا أن نعرف الربا في اللغة: فهو يأتي بمعنى الزيادة، وأما تعريفه في الاصطلاح: فهو عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما[2].

ولقد جاء الإسلام وحرم الربا لما له من أضرار كبيرة على المجتمعات، ولم يُحرّم الإسلام وحده الربا، بل نجد أنَّ أصحاب العقائد الأخرى كالمسيحية واليهود يحرمونه في معتقداتهم، قال تعالى: **﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾** وقال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾** [آل عمران: 130-131].

وفي هذه الآية نهي وتحذير للمؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافاً مضاعفة، كما كانوا في الجاهلية يقولون إذا حل أجل الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإن قضاه وإلا زاده في المدة وزاده في القدر، وهكذا كل عام فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً، وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى وفي الآخرة[3].

قال ابن جرير: "لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة في إسلامكم بعد إذ هداكم الله، كما كنتم تأكلونه في جاهليتكم. وكان أكلهم ذلك في جاهليتهم أن الرجل منهم يكون له على الرجل مال إلى أجل، فإذا حلّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخّر دينك عنى وأزيدك على مالك، فيفعلان ذلك، فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة، فنهاهم الله عز وجل في إسلامهم عنه"[4].

---

(1)انظر: في ظلال القرآن سيد قطب: (318/1).

(2) الياقوت النفيس في مذهب ابن ادريس: الشاطري (341/1).

(3) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (117/2).

(4) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (204/7).

وبعد هذا النهي والتحذير زاد التأكيد عليهم، فتوعدهم بالنار وحذرهم منها أشد تحذير إذ لم يمتثلوا أوامره سبحانه[(1)].

وقد جاء الزجر والعذاب الشديد للذين يأكلون الربا، فعن سمرة بن جندب ﷺ، **أنَّ النبي ﷺ قال: (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتَيانِي، فأخْرَجانِي إلى أرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فانْطَلَقْنا حتَّى أتَيْنا علَى نَهَرٍ مِن دَمٍ فيه رَجُلٌ قائِمٌ وعلَى وسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بيْنَ يَدَيْهِ حِجارَةٌ، فأقْبَلَ الرَّجُلُ الذي في النَّهَرِ، فإذا أرادَ الرَّجُلُ أنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كانَ، فَجَعَلَ كُلَّما جاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى في فيه بحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كما كانَ، فَقُلتُ ما هذا؟ فقالَ: الذي رَأَيْتَهُ في النَّهَرِ آكِلُ الرِّبا)**[(2)].

إنَّ اجتناب الربا طاعة لله ولرسوله، وإن تحصيل المال يكتسب من الطرق المشروعة وبالحلال، ولقد حثنا الإسلام على السعي والكد من أجل الحصول على المال الحلال، فالتعامل بالربا حرام وسبب لغضب الله ﷻ فينبغي على المسلم الذي يتعامل بالربا أن يتخلص منه وأن يعود إلى ربه تائباً منه لأنَّ الربا من أعظم مظاهر أكل أموال الناس بالباطل لأنَّ فيه تدمير للمجتمع.

المطلب السابع
مهمة الرسول تزكية المسلمين وتعليمهم القرآن والحكمة

إنَّ من أجل المهام التي تفضل الله ﷻ بها على النبي محمد ﷺ أن أرسله الله للعالمين، يعلمهم ويهديهم الصراط المستقيم، وما جاء النبي محمدﷺ إلا لتلك المهمة، وهي تبليغ الناس رسالة الإسلام والتي تتمثل في تعليمهم آيات الله ﷻ وتزكيتهم بتطهير قلوبهم من الأدران، وتعليمهم كافة العلوم التي تضمنها القرآن الكريم وإرشادهم إلي سبيل الحكمة.

وقبل الشروع في الحديث حول هذا العنوان لابد من معرفة القرآن الكريم وبيان فضله وأداب تلاوته وبيان أثره على القلوب.

وقد عرف العلماء القرآن الكريم بأنَّه: كلام الله المعجز المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة الوحي جبريل عليه ﵇ المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس[(3)].

---

(1)انظر: التفسير المنير: الزحيلي (85/4).

(2)صحيح البخاري، البخاري، كتاب البيوع/باب آكل الربا وشاهده وكاتبه (56/2) رقم الحديث:2085.

(3) انظر: الواضح في علوم القرآن: مصطفى البغا (ص:154).

فضل القرآن الكريم: القرآن الكريم فضائله كثيرة لا حصر لها، فهو الكتاب الخالد والحجة البالغة ختم الله به الرسالات، وجعله هداية للناس ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد جاءت آيات كثيرة في القرآن والسنة تبين فضل القرآن منها قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: 174].

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:203].

وقال تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:1].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:10].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:44].

وأما الأحاديث التي جاءت في السنة تبين فضل القرآن الكريم كثيرة وأذكر منها:

عن أبي أمامة الباهلي ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(اقرؤوا القرآن فإنَّه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه....)**[1].

ومن الآداب التي يجدر لقارئ القرآن أن يراعيها عند تلاوة القرآن الكريم ما يأتي:

1. استحضار عظمة الله ﷻ والتدبر في آياته.
2. تنظيف الفم بالسواك.
3. يستحب القراءة على طهارة.
4. استقبال القبلة والجلوس بسكينة ووقار[2].

وبعد أن تعرفنا على آداب القرآن لابد أن نتعرف على أثر القرآن الكريم على القلوب، ومما لاشك فيه أنَّ القرآن الكريم له أثر بالغ عند سماعه، فبه تطمئن القلوب، والعيش مع القرآن نعمة عظيمة لا يعرفها إلا من ذاقها، فهي نعمة تشرح الصدر وتهدي القلب وتؤدب الجوارح،

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ح 252 (553/1).

(2) انظر: هذا هو القرآن: الشريف (ص17).

وأي نعمة أفضل وأنت تخاطب ملك الملوك سبحانه، وكان المُشرِكون يستعذِبون سماعَ القرآن من النبيّ ﷺ؛ فكان أبو سُفيان وأبو جهلٍ وغيرُهما من رُؤساء قُريش يتسلَّلون ليلاً إلى بيتِ النبي ﷺ ليسمَعوا القرآن والمتتبع للسير يجد أنَّ الكثير من الناس قد تأثروا عند سماع القرآن الكريم؛ فكان سبباً في دخولهم الإسلام.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:164].

تُبين هذه الآية مظاهر المنة والفضل ببعثة خير الأنام محمد ﷺ وقد بُعث في مجتمع بقي فيه شيء من أدران الجاهلية ومعتقداتها الباطلة، ولقد جاء النبي ﷺ في مهمة ورسالة واضحة وهي تبليغ الناس رسالة الإسلام ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد بُعث من جنس قومه وبلسانهم ليكون لهم أسوة يقتدون به ويسيرون على نهجه، يعلمهم الكتاب ويبين لهم المقاصد التي من أجلها نزّل القرآن، ويشرح لهم الألفاظ والمعاني التي تغيب عن مداركهم، ويعلمه أيضاً الحكمة أي الفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام.

وبعد بيان هذه الصفات التي امتن الله بها علي النبي محمد ﷺ بيّن سبحانه حال الناس قبل بعثة النبي محمد ﷺ فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

لقد كانت الأمة قبل بعثة النبي في تخبط وانحطاط واضح، وكانت أسيرة الجهل والخرافات يستقوي القوي فيها على الضعيف و.... وحقا لقد كان الناس قبل أن يبزغ نور الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ من عند ربه في ضلال واضح، وظلام دامس، فهم من ناحية العبادة كانوا يشركون مع الله آلهة أخرى، ومن ناحية الأخلاق تفشت فيهم الرذائل حتى صارت شيئا مألوفا، ومن ناحية المعاملات كانوا لا يلتزمون الحق والعدل في كثير من شئونهم.

إنَّ الضلال والجهل وغير ذلك من الرذائل، كانت قد استشرت في العالم بصورة لا تخفى على عاقل، فكان من رحمة الله بالناس ومنته عليهم أن أرسل فيهم نبيه محمدا ﷺ لكي يخرجهم من ظلمات الكفر والفسوق والعصيان إلى نور الهداية والاستقامة والإيمان وينقلب الظلم عدلاً، والخوف أمناً، والفقر غنىً، والجهل علماً[1].

وبهذا يتضح لنا مدى اهتمام النبي ﷺ بمهمة التبليغ التي كانت لها الأثر البالغ في تغيير نفوس الناس، وكيف كان القرآن مفتاحاً لقلوبهم وهدايتهم إلى سواء السبيل، فكان القرآنُ لهم نعم

(1)انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (327/2).

الأنيس والجليس، فلا شيء أفضل من القرآن يضمد الجراح.. وينأ بنا عن أوجاع الدهر.. يروي لنا القصص والعبر، ويهدينا الأجر والمثوبة، فهو النافع، والشافع، والرافع.. فطُوبَى لمن عمّرَ وقتَه بالقرآن واتخذه شعاراً له في حياته.

ومن الأثار التربوية المهمة في الجانب التعبدي مايأتي:

1. تعظيم وبيان مكانة البيت عند الله تعالى.
2. تعظيم حرمة كتاب الله تعالى والوقوف على هداياته.
3. الوقوف عند حدود الله تعالى والتزام أحكامه، والعمل بها من الإيمان
4. تربية النشئ على حب البذل والإنفاق في سبيل الله ﷻ.

المبحث الثالث

التوجيهات التربوية الدعوية المستنبطة من سورة آل عمران

إنَّ الدعوة إلى الله ﷻ مهمة الأنبياء والمرسلين والله ﷻ لم يرسل رسولاً إلا أمره بالدعوة إليه سبحانه وعبادته وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل: 36].

ومن هنا كانت الدعوة إلى الله وحده هي وظيفة الرسل جميعاً، ومن أجلها بعثهم بدءاً بسيدنا آدم عليه السلام وختاماً بسيد البشرية وإمام الدعاة محمد ﷺ.

وقد جاءت سورة آل عمران ببعض التوجهات التربوية الدعوية والتي تشتمل على ثلاثة عشرة مطلباً:

المطلب الأول

النار جزاء مَن قتل الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر

مما لا شك فيه أنَّ الأنبياء والرسل أكمل الناس في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي المهمة الأساسية التي بعثهم الله ﷻ من أجلها، ومع ذلك واجهوا من أقوامهم ما واجهوا من الصد والعناد حتى وصل الأمر إلى قتلهم بغير حق، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**﴾ [آل عمران:22].

قال الهرري(1): "فالآية وإن كانت قد نزلت في فريق من اليهود والنصارى إلا أنها عامة؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(2).

وتشير هذه الآيات إلى كفر اليهود وتتحدث عن بشاعة ظلمهم، وأي ظلم أشد وأفظع من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد، بل وبلغ بهم الأمر إلى قتل أنبيائهم الذين جاءوا بالدعوة إلى الحق، وطاعة هؤلاء من آكد الطاعات بعد طاعة الله سبحانه وتعالى، ووصل أيضاً بهم الحال إلى قتل الذين يأمرون بالقسط

---

(1) محمد أمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن أبو ياسين الأرمي جنسا العلوي قبيلة الأثيوبي دولة الهرري منطقة الكري ناحية البويطي قرية السلفي مذهبا. (المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين ص:267).

(2)حدائق الروح والريحان: الهرري (232/4).

أي بالعدل من الناس وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح(1).

ثم يأتي الأمر لنبأ هؤلاء الذين ارتكبوا هذه الجرائم الشنيعة، البعيدون في الضلال، ببطلان أعمالهم في الدّنيا والآخرة، وما لهم في الآخرة من ناصرين ينصرونهم من بأس الله(2).

وبهذا يمكن أن نستخلص أنَّ ما ارتكبه اليهود والكفار من جرائم بحق أولئك الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من الأنبياء والمرسلين، مسطر في قلوب الأجيال، وهو عند الله ﷻ في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فاليهود أصبحوا أنموذجاً يقتدى به في مجال القتل والإرهاب ومصادرة الفكر ولبقضاء على إنسانية الإنسان، فالله سبحانه وتعالي سينتقم منهم، وسيجازيهم سوء العذاب على ما ارتكبوه من جرائم وسيأتي ذلك اليوم الذي سيقتل فيه المسلم ذلك المعتدي، وما ذلك على الله بعزيز.

المطلب الثاني

الإعراض عن تحكيم شرع الله تشبه باليهود وسبب في غضب الله

قال تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** [آل عمران: 23-25].

تشير هذه الآيات إلى الحال الذي وصل إليه أهل الكتاب وهو إعراضهم عن تحكيم شرع الله ﷻ فكان الأجدر بهم أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقيادا لأحكامه، إلاَّ أنَّهم رفضوا تحكيم شرع الله عناداً وتكبراً وتولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، ولعل السبب الذي غرّ أهل الكتاب وجرأهم على معاصي الله هو قولهم: **﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾** [آل عمران: 24].

---

(1)انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص126).

(2)انظر: التفسير المنير: الزحيلي (184/3).

افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك ولم ينزجروا عن المحارم، لأنَّ أنفسهم منَّتهم وغرتهم أن مآلهم إلى الجنة، وكذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب وافتراء، وإنما مآلهم شر مآل، وعاقبتهم عاقبة وخيمة[1].

قال أبو جعفر: "إنَّ الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظَهراني مُهاجَر رسول الله ﷺ في عهده، ممن قد أوتي علماً بالتوراة أنهم دُعوا إلى كتاب الله الذي كانوا يُقرّون أنَّه من عند الله وهو التوراة في بعض ما تنازعوا فيه هم ورسولُ الله ﷺ. وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذي كانوا تنازعوا فيه، ثم دعوا إلى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الإجابة إليه..."[2].

ويشير أبو جعفر إلى "أنَّ المعنى الذي دُعوا إلى حكمه، هو مما كان فرضاً عليهم الإجابة إليه في دينهم، فامتنعوا منه، فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردّتهم، وتكذيبهم بما في كتابهم.."[3].

وبعد هذا الافتراء يتوعدهم الله تعالى بقوله: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾** [آل عمران:25].

أي: كيف يكون حالهم في يوم الجزاء الذي لاشك فيه، وقد افتروا على الله، وأعرضوا عن شرعه وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والله تعالى سائلهم عن ذلك كله، ومحاسبهم عليه، ومجازيهم به[4].

وبذلك يتضح للجميع فرضية وجوب الحكم بما أنزل الله على كلّ مسلم، وأن يخضع لشرع الله في نفسه ومع غيره، وعدم الاحتكام لشرع الله ﷻ يعنى الكفر وضياع الدين، وضلال اليهود كان بسبب انحرافهم عن المنهج وعدم احتكامهم إلى شرع الله سبحانه.

المطلب الثالث

قدرة الله وعظمته وتصرفه في خلقه إليه تستوجب توحيده وعبادته

إنَّ الله تعالى تجلت عظمته وقدرته على عباده فهو المتصرف والمدّبِر لأحوالهم، وهذا الأمر يتطلب ويستوجب من العباد شكر الله ﷻ وإفراده بالعبادة وحده، فهو سبحانه المالك الذي يعطي ملكه لمن يشاء وينزعه ممن يشاء.

---

(1)انظر: المرجع السابق: السعدي (ص126).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري: (290/6).

(3) المرجع السابق الطبري: (291/6).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: (28/2).

قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:26].

يقول ابن كثير: "وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأنَّ الله ﷻ حوَل النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يعطها نبيا من الأنبياء ولا رسولا من الرسل"[(1)].

وتشير الآيات إلى أنَّ الله مالك الملك بيده التصريف المطلق والكامل، ولا ينازعه في ذك أحد، والإخبار في قوله قل يا محمد: اللهم: أي يا الله أنت المالك لجميع الممالك وصفة الملك لك وحدك، ثم بين سبحانه بأنّه يعطي ويمنع، ويؤتي وينزع، وفي ذلك إشارة أنَّ الله ﷻ سينزع ملك الطغاة ويدك عروشهم، وقد حصل ذلك والحمد لله، فالعطاء والمنع تابع لمشيئة الله فلا راد لحكمه وقضاءه، لكن الذي ينبغي أن نُشير إليه أنّ إيتاء الملك من لوازمه الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور:55] أخبر أنَّ الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: ﴿هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ [الأنفال:62].

ثم قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بطاعتك ﴿وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ بمعصيتك ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك.

ثم يأتي الإخبار والحديث عن سنة هذا الكون وحركة الدوران من إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل، قال تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:27].

أي: تُدخل هذا على هذا، وهذا على هذا، فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء والنور والشمس والظل والسكون والانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالفرخ من البيضة، وكالشجر من النوى، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر ﴿وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ كالبيضة من الطائر وكالنوى من الشجر، وكالحب من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئا، فخلقه تعالى الأضداد، والضد من ضده بيان أنها مقهورة

(1) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: (29/2).

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: ترزق من تشاء رزقاً واسعاً من حيث لا يحتسب ولا يكتسب[1].

وبهذا يتبين أنَّ الآيات الكونية الدالة على عظمة الله ﷻ كثيرة لا تعد ولا تحصى، وهي كالبراهين الساطعة، وهذا يستوجب الشكر والثناء على الله ﷻ والعمل على تحقيق العبادة له سبحانه، لأنَّه هو المالك والمتصرف لهذا الكون يعطي من أطاعه ويمنع من عصاه ولم يتبع أوامره، وعلى الإنسان أن يدرك مدى أهمية هذه القدرة الالهية، وأن يستلهم منها الدروس والعبر في حياته، فالدول والحضارات لاتبنى إلا بمعرفة سنن الله في كونه، ومن فرط في السنن تاه في مطحنة الحياة.

المطلب الرابع

وجوب موالاة المؤمنين والتحذير من موالاة الكافرين والاستعانة بهم

الولاء والبراء جزء من هذه العقيدة، ويحتاج إلى عقيدة سليمة، إذ من المحال أن تكون هناك عقيدة سليمة بدون تحقيق الموالاة والمعاداة الشرعية.

وسنتعرف في ضوء هذا المطلب على المعنى اللغوي والاصطلاحي للولاء والبراء.

أولاً: معنى الولاء والبراء لغةً واصطلاحاً:

1. **الوَلْيُ:** في اللغة هو "القُرْب"[2].
2. **وبرئ:** تعني: "تنزه وتباعد"[3].
3. **أما التعريف الاصطلاحي:** فالولاء هو حب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين.

والبراء هو: بغض الطواغيت التي تعبد من دون الله تعالى من الأصنام المادية والمعنوية: كالأهواء والآراء، وبغض الكفر بجميع ملله وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله[4].

إنَّ محبة الله ﷻ لا تتم إلا بمحبة ما يحبه، وكره ما يكرهه، ولا يتم ذلك إلا عن طريق طاعة رسول الله ﷺ ومحبته والسير على منهجه، لأنَّ محبة الله تستلزم محبة الرسول ﷺ وإتباع طاعته[1].

---

(1)انظر تيسير الكريم الرحمن: السعدي: (ص126).

(2) الصحاح: الجوهري – ولي – (6 / 2528)، وتهذيب اللغة: الأزهري (15 / 447).

(3) تهذيب اللغة: الأزهري (15 / 269).

(4) الولاء والبراء بين الغلو والجفاء: حاتم الشريف (ص5).

وحب الإنسان للخير فيه دلالة على طيب نفسه وطهارة قلبه وسلامته من الأحقاد، فالحب الحقيقي الذي يكمن في قلب الإنسان هو أن تحب أخاك القريب والبعيد الذي تعرفه أولا تعرفه تحزن لحزنه، وتفرح لفرحه، وتشاركه في كل دروب الحياة وتؤثره على نفسك أي: تحب له من الخير كما تحب لنفسك، فبهذا الحب يتحصل المسلم على منزلة عاليه عند الله ﷻ.

"ولما كان أصل الموالاة: الحب. وأصل المعاداة: البغض. وينشأ عنهما من القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة كالنصرة والأنس والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك"[2] فالولاء والبراء من لوازم لا إله إلا الله. وأدلة ذلك كثيرة من الكتاب والسنة.

منزلة الولاء والبراء في الإسلام

الولاء والبراء قاعدة راسخة من قواعد ديننا الحنيف، وأصل من أصول الإيمان والعقيدة، فلا يصح إيمان شخص بدونهما، فيجب على المرء المسلم أن يوالي في الله ويحب في الله، ويعادي في الله فيوالي أولياء الله ويحبهم، ويعادي أعداء الله ويتبرأ منهم.

قال تعالى: **﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾** [آل عمران: 28].

تشير هذه الآيات إلى النهي الصريح عن موالاة الكافرين وعدم اتخاذهم أولياء من دون المؤمنين، لانَّ أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله، فلا ينبغي موالاة هؤلاء من الكافرين ولو كانت بيننا وبينهم صلة من قريب أو بعيد، وقوله مِنْ **﴿دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾** إشارة إلى أنَّهم الأحقاء بالموالاة، وأنَّ في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة، **﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾** أي اتخاذهم أولياء. **﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾** أي من ولايته في شيء يصح أن يسمى ولاية، فإنَّ موالاتي المتعادين لا يجتمعان[3].

قال النسفي "وقوله تعالى: **﴿إِلا أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تقاة﴾** إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب اتقاؤه أي إلاّ أن يكون للكافر عليك سلطان فتخافه على نفسك ومالك فحينئذ يجوز لك إظهار

---

(1) انظر: الإيمان بالله ﷻ: الصلابي: (41).

(2) الرسائل المفيدة: عبد اللطيف بن عبد الرحمن: (296).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: (12/2).

الموالاة وإبطال المعاداة ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ﴾ أي ذاته فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة أعدائه وهذا وعيد شديد ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ أي مصيركم إليه والعذاب معد لديه وهو وعيد آخر"[1].

ثم تنتقل الآيات إلى التحذير مما تخفيه قلوب الذين يوالون الكافرين من دون المؤمنين قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29].

ففي هذه الآية إشارة إلى سعة علم الله، وأنَّه سبحانه لا تخفى عليه خافية يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقال البغوي في معنى تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ "أي قلوبكم من مودة الكفار ﴿أو تُبْدوه﴾ موالاتهم قولا وفعلا ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ وقال الكلبي: إن تسروا ما في قلوبكم لرسول الله ﷺ من التكذيب أو تظهروه، بحربه وقتاله، يعلمه الله ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به ثم قال: ﴿ وَيَعْلَمُ﴾ رفع على الاستئناف ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني إذا كان لا يخفى عليه شيء في السماوات ولا في الأرض فكيف تخفى عليه موالاتكم الكفار وميلكم إليهم بالقلب؟"[2].

وقوله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: أنَّ الله قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وأنَّه ذو قدرة نافذة على كل شيء وهذا لون من التهديد والتحذير لأنّ الذي يتوعد غيره بشيء لا يحول بينه وبين تحقيق هذا الشيء إلا أحد أمرين: الجهل بجريمة المجرم، أو العجز عن تنفيذ وعيده، فلما أعلمهم سبحانه بأنَّه محيطٌ بكل شيء وقادر على كل شيء، ثبت أنَّه سبحانه متمكن من تنفيذ وعيده [3].

وتنتقل الآيات مرة أخرى تُحذر وتُنذر، والتحذير والإنذار من شأنه أن يوقظ أصحاب القلوب الغافلة ليدركوا أنفسهم ويحذروا من سخط الله وعقابه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30].

وليحذر الإنسان يوم القيامة ذلك اليوم الذي يجد فيه ما قدمه من عمل خير أو شر، قليل أو كثير، فإن كان العمل خيراً سُرّ صاحبه، وإن كان شرا ودّ صاحبه أن يكون بينه وبين عمله

---

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي: (248/1).

(2) معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي: (26/2).

(3) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي: (79/2).

بعد ما بين المشرقين. ويُحذَر الله الناس عقابه الصارم إن خالفوا، والله رؤف بالعباد إن أطاعوا والتزموا الأوامر واجتنبوا النواهي(1).

وبهذا لابد أن نعلم أنَّ أولياء الله تجب موالاتهم ونصرتهم، وكما يتوجب علينا أن نوثق عرى الإسلام ونعمقها في قلوبنا، بخلاف الكفار فيجب علينا معاداتهم، لأنَّ موالاتهم تؤدي إلى مفسدة كبيرة وهي خلع رابطة الاخوة ونشر العداوة والبغضاء.

المطلب الخامس

محبة الله باتّباع الرسول ﷺ سبب في رضوان الله تعالى

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:31].

تشير هذه الآية الكريمة أنَّ محبة الله لن تُنال إلا باتباع الرسول ﷺ وبما جاء به من الحق، ومحبة الله ورسوله علامة من علامات قبول ورضى الله عن عباده، وإذا أحب العبد ربه أحب طاعته، "قال الحسن البصري(2): اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته"(3).

وقال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادّعى محبّة الله، وليس هو على الطريقة المحمديّة، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتّبع الشّرع المحمدي والدّين النّبوي في جميع أقواله وأفعاله...."(4).

فجدير بنا أن نصدق في محبتنا لله ولرسوله وأن تكون هذه المحبة نابعة من القلب حتى ننال رضى الله ومغفرته.

وإنَّ من كمال محبة الله ﷻ اتباع النبيﷺ، ومحبة الله ليست دعوى باللسان، وإنَّما تتحقق باتباع أوامر الله ونواهيه التي جاء بها على لسان رسوله ﷺ، فالآية الكريمة قد بينت أنَّ أول علامات محبة العبد لربه، هي اتباع رسوله ﷺ وأنَّ هذا الاتباع يؤدى إلى محبة الله تعالى لهذا العبد وإلى مغفرة ذنوبه، ومحبة الله لعبده هي منتهى الأماني، وغاية الآمال.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(إنَّ الله تعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل، فقال: إنِّي أحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، فيقول: إنَّ الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبدا دعا جبريل،**

---

(1) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي: (178/1).

(2)هو: أبوسعيد، الحسن بن أبي يسار البصري مولى الأنصار.

(3)كتاب التوحيد: ابن رجب الحنبلي: (61/1).

(4) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير: (32/2).

فيقول: إنِّي أبغض فلانا فأبغضه. فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إنَّ الله يبغض فلانا فأبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض)(1).

ومحبة الله إنما تتأتى بإخلاص العبادة والوقوف عند حدوده والاستجابة لتعاليم رسوله محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ [آل عمران: 32].

قال المراغي: ومعنى قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ "أي قل لهم: أطيعوا الله باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وأطيعوا رسوله باتباع سنته والاهتداء بهديه"(2).

والأمر في هذه الآية يقتضي الوجوب، وهو طاعة الله ورسوله والانقياد لأحكامه التي جاء بها على لسان رسوله، والتي يدخل في هذه الطاعة الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾ أي ومن يتولى عن طاعة الله ورسوله فإن الله يمقته ويسخط عليه ويعاقبه أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي(3).

قلت إن محبة النبي ﷺ من كمال محبة الله ﷻ ومن علامات محبته سبحانه الامتثال إلى أوامره، وعدم معصيته، فكما أنَّ الله يحب من عباده أن يطيعوه، كذلك يبغضهم إن عصوه وخالفوا أوامره.

المطلب السادس

استعراض القصة في القرآن لأخذ العبرة والعظة

القصص القرآني يختلف عن غيره من القصص، فالقصة في القرآن تحمل في طياتها أهدافاً وأغراضاً مهمة جاء القرآن الكريم من أجلها، فالقرآن الكريم أسهب في تناول القصة بطرق نوعية وفريدة لتحديد الأهداف والغايات، ولقد جاءت سورة آل عمران تعرض لنا اصطفاء الله إلي أولياءه في عرض قصصي مشرق ينير سبيل الحق والإيمان.

وإنَّ في القصص طريقة خاصة في عرض الحقائق وإدخالها إلى القلوب في صور عميقة الإيقاع، والقضية التي يركز عليها سياق السورة هي قضية التوحيد وما جاء من القصص مكملاً ومؤكداً لها.

---

(1)صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (2/395-396) رقم الحديث:3209.

(2) تفسير المراغي: المراغي (141/3).

(3) انظر: تفسير الكريم الرحمن: السعدي (ص128).

وسورة آل عمران عرضت لنا حال المؤمنين مع ربهم، والتي تتمثل في سيرة النخبة المختارة من البشر التي اصطفاها الله وجعلها ذرية بعضها من بعض، وتتمثل هذه الصور المضيئة في حديث امرأة عمران وهي تناجي ربها في شأن وليدتها، وفي حديث مريم مع زكريا، وفي دعاء زكريا ومناجاته لربه[1].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: 33].

يخبر الله تعالى أنه اختار من خلقه على سائر الأرض صفوة للعالمين، فبيّن لنا فضائلهم وخصائصهم، فاختار من بينهم آدم عليه السلام أبا البشر خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها وأسكنه الجنة و....واصطفى من بعده نوحاً عليه السلام وكان أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، ولاقى من قومه الذين عبدوا الأصنام السخرية والاستهزاء، فانتقم الله منهم وأغرقهم بالطوفان، وأنجاه الله ومن معه من المؤمنين، واصطفى آل ابراهيم ومنهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمدﷺ[2]. واصطفى من ذرية إبراهيم آل عمران والمراد بعمران هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم، عليهم السلام[3]، قال تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: 34].

وقال أبو زهرة: "الذرية هم الفروع من الأولاد وأولادهم مهما نزلوا، وأصلها من مادة "ذرأ"، وقيل من "الذرو"، وقيل من "الذر"، وكل هذه الألفاظ تنتهي إلى التكوين والتفريع فرعاً من بعد فرع؛ ومعنى النص الكريم أن أولئك المصطفين الأخيار بعضهم ذرية من بعض، فهم متصلو النسب بسلسلة لَا تنقطع، فنوح من ذرية آدم، وآلُ إبراهيم من ذرية نوح، وآل عمران من ذرية آل إبراهيم، وهكذا، فهي سلسلة متصل بعضها ببعض في النسب والهداية.."[4].

﴿**وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ والسميع هو الذي يسمع جميع الأصوات على اختلاف لهجاتها[5].

وقد سمع الله جل جلاله قول ابنة عمران وهي تناجيه وهى حامل بنذر ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس، وبثنائها عليه حين المناجاة بأنَّه السميع لدعائها وضراعتها، العليم بصحة نيتها وإخلاصها، وهذا يستدعى تقبل الدعاء، ورجاء الإجابة تفضلا منه وإحسانا[1].

---

(1)انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (389/1-390).

(2)انظر: التفسير المنير: الزحيلي (211/3).

(3)انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (33/2).

(4)زهرة التفاسير: أبو زهرة (1195/3).

(5)انظر: فقه الأسماء الحسنى: عبدالرزاق البدر (151/1).

قال تعالى: ﴿إِذْ قالَتِ امْرَأَتُ عِمْرانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ ما فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:35].

ثم يخبر الله ﷻ أنَّ امرأة عمران كانت تتوقع أن يكون ما في بطنها ذكرا، لأنَّه هو الذي يصلح لخدمة بيت الله والانقطاع للعبادة فيه، لكنَّها حين وضعت حملها ووجدته أنثى، قالت على سبيل الاعتذار عن الوفاء بنذرها: رب إني وضعتها أنثى، والأنثى لا تصلح للمهمة التي نذرت ما في بطني لها وهي خدمة بيتك المقدس، وأنت يا إلهى القدير على كل شيء فبقدرتك أن تخلق الذكر وبقدرتك أن تخلق الأنثى....[2].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: 36].

قال الأصفهاني: وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ "أي وضعت حملها، وأنثها على المعنى، وقولها: ﴿إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ لكون الأنثى ناقصة العقل والدين، ولهذا قالت: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ ولأنَّه روي أنَّه لم يكن يُستصلح للتحرير من قَبْل إلا الذكور. وبين بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ أنَّ إخبارها بذلك لم يكن على سبيل الإعلام، بل على معنى أن الله أعلم بمآلها، وحقيقة أحوالها، وقال الأصفهاني: وفائدة قوله: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ قيل: هو أنَّ هذا الاسم في لغتهم اقتضى معنى التحرير، وتضرَّعت امرأة عمران إلى الله تعالى أن يحفظها وذريتها من الشيطان، الذي قال: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لكون الأنثى أطوع له"[3].

وبعد ذلك تشير الآيات بقبول الله لمريم من أمها القبول الحسن قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:37]

ورضي الله لها أن تكون محررة خالصة للعبادة وخدمة البيت على صغرها وأنوثتها، ورباها وعني بها أفضل عناية، وكان زكريا‍ؑ زوج خالتها وكان معروفا بالتقوى والصلاح كافلاً لها مؤديا لمصالحها حتى شبت وترعرعت، وشاء الله كون زكريا ؑ كافلاً لها أن تستمد منه العلم النافع والعمل الصالح، وكلما دخل عليها زكرياؑ وجد عندها من الرزق الوفير، كان يجد

(1)انظر: تفسير المراغي: المراغي (144/3).

(2)انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (88/2).

(3) تفسير الراغب الأصفهاني: الأصفهاني (528/2-529).

عندها ألوانا من الطعام كان يجد فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها: يا مريم، من أين لك هذا؟ والأيام أيام جدب وقحط، قالت: هو من عند الله الذي يرزق الناس جميعا، بتسخير بعضهم لبعض، إنَّ الله يرزق من يشاء من عباده بغير حساب(1).

وبعد هذا الرزق الوفير وما وجده زكريا عليه السلام من أصناف الطعام يتعجب من حال مريم البتول القانتة المتفرغة للعبادة، تقرب إلى الله جل جلاله بالدعاء فدعا ربه أن يرزقه ولداً صالحاً من ولد يعقوب عليه السلام، وعلى الفور ولصدقه مع الله بشّرته الملائكة وهو يصلي في المحراب بيحيى عليه السلام، وهذا ما قصّته علينا الآيات قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: 38-44].

دعا زكريا عليه السلام أن يرزقه الله ولداً صالحاً، مثل مريم، من ولد يعقوب عليه السلام، قائلا: يا رب أعطني من عندك أولاداً طيبين، لأنهم فرحة العين، ومجلى القلب، إنك سميع قول كل قائل، مجيب دعوة كل دعاء صالح.

فخاطبته الملائكة شِفاهاً، والمخاطب: هو جبريل عليه السلام، وذلك أثناء قيامه للصلاة، يدعو الله، ويصلي في المحراب، وقالت له: إنَّ الله يبشرك بغلام اسمه يحيى، مصدقا بعيسى الذي ولد ونشأ بكلمة الله: (كن) لا بالطريقة المعتادة من الولادة من أب وأم. ويكون سيد قومه، وزاهدا مانع نفسه من الشهوات، ونبيا يوحى إليه.

وبشارة أخرى أنّ يحيى عليه السلام سيد قومه، والمحصّن والمعصوم من الذنوب، والمانع نفسه من شهواتها، وهو نبي صالح يوحى إليه، وهذه بشارة أخرى بنبوة يحيى، بعد البشارة بولادته.

تعجب زكريا عليه السلام من هاتين البشارتين، فقال: كيف يكون لي غلام، وقد أصبحت كبير السن، وامرأتي عقيم لا تلد، فأجابته الملائكة: كذلك الله يفعل ما يشاء، أي مثل ذلك الخلق غير المعتاد الحاصل مع امرأة عمران، يفعل الله ما يشاء في الكون. فطلب زكريا من ربه أن يجعل له علامة تدل على الحمل ووجود الولد منه، استعجالا للسرور، أو ليشكر تلك النعمة، فجعل

(1) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (214/3).

الله علامة ذلك ألا يقدر على كلام الناس مدة ثلاثة أيام متوالية، إلا بالإشارة والرمز بيد أو رأس أو نحوهما.

وأَمَرهُ الله أن يذكر ربه ويكبره ذكرا كثيرا، ويسبّحه أو ينزهه عما لا يليق به طوال الوقت، ولا سيما عند الصباح والمساء.

واذكر أيها النبي ﷺ حين قالت الملائكة لمريم: يا مريم، إنَّ الله لكثرة عبادتك وزهدك اختارك رمزاً لسمو الأخلاق والصفات، وطهرك من الأكدار والعيوب، والوساوس والدناءات، وطهرك من عادات النساء كالحيض والنفاس والولادة من غير جماع، وفضلك على نساء العالمين في زمانك، يا مريم: إلزمي الطاعة والخضوع والخشوع لله، واسجدي له مع التعظيم، وصلّي جماعة مع المصلين.

تلك القصص التي أخبرناك عنها أيها النبي ﷺ، من أخبار زكريا ويحيى ومريم: هي من أخبار الغيب التي لم تطلع عليها أنت ولا أحد من قومك، وإنما هي بالوحي الذي أوحينا به على يد جبريل الأمين عليه السلام، ولم تكن حاضرا معهم حينما جاءت امرأة عمران، وألقت مريم في بيت المقدس، وتنافس الأحبار في رعايتها وخدمتها(1).

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: 45-51].

ولا زالت الآيات الكريمة تتحدث عن قصة أل عمران، وما أجمل الإنسان أن يستمع إلى قصص القرآن الكريم ويتأمل ما فيه من أحكام ومواعظ، ليجد بين ثناياه الهدف النبيل والقصد الشريف، وتأتي بشارة الملائكة لمريم عليها السلام، التي اعتكفت كعادتها يوما تصلي لله وتعبده، فهي المرأة القانتة العابدة لله، فبينما هي على حالها اضطربت نفسها فجأة وداخلتها رهبة

(1)انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (1/191-193).

لم تعهدها من قبل، وظهر أمامها ملك من السماء قد تمثل لها على هيئة البشر، لتأنس به ولا تنفر منه، فحاولت الهروب، واستعاذت بالله تعالى إذ ظنته معتديا أثيما، وفاجراً زنيما.

وهي التقية المؤمنة العفيفة، ولكنه أعاد لها طمأنينتها وهدأ من روعها، ثم أخذ يتحدث إليها قائلاً: **﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾** [مريم: 19].

فغشيتها سحابة من الحزن، وطافت بها موجة من الأسى، ومن شدة هول الموقف خرجت من صَمْتِها وحاجَّته قائلة: **﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [آل عمران: 74].

ثم مضى الملك واختفى، فجلست حائرة تفكر فيما سمعته من هذه البشارة، وكانت تراودها أفكاراً مضطربة، فأصبحت تحب العزلة، وغلب عليها الخوف والتفكير، ولكنها لم تعلم ما يخبئه القدر، وبقي يرددها الخوف من أفواه الناس، وهي المرأة التقية النقية والتي تنتمي لأفضل أسرة عريقة شهد لها القرآن بذلك، ولم يكن أبوها امرأ سَوء، ولم تكن أمها بغياً، فكيف تلوك الألسنة في هذا الصرح الشامخ.........[1].

فكانت بشارتها بعيسى عليه السلام وهو من أهل الصلاح الذين أنعم الله عليهم بالنبوة وقوله تعالى: عيسى ابن مريم نسبة له إلى أمه، حيث لا أب له **﴿وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾** أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم[2].

قال الزحيلي: "وسبب التعبير في قصة زكريا وابنه يحيى بقوله تعالى: **﴿كَذلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ ما يَشاءُ﴾** وفي قصة خلق عيسى بقوله: **﴿كَذلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾**: هو أن إيجاد يحيى من شيخين عجوزين كإيجاد سائر الناس في العادة، فعبر عنه بالفعل، وأما إيجاد عيسى فهو من أم بلا أب، خلافا للمعتاد في التوالد، بل بمحض القدرة الإلهية، وهو أبلغ من إيجاد يحيى، فناسب التعبير عنه بالخلق والإيجاد والإبداع، لكونه من غير سبب عادي، ثم أعقبه بما يناسبه ويؤكده فقال: إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون"[3].

وبعد هذا الاستعراض القصصي، يتبين مدى أهمية القصة في القرآن الكريم، والتى لها الأثر البالغ في تهذيب النفوس، ومن خلال الاطلاع على كتب المفسرين يجد الباحث أنَّ

(1) انظر: قصص القرآن: جاد المولى (214/1-215).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (43/2).

(3)التفسير المنير: الزحيلي: (231/3).

المفسرين نهجوا في تأويل القصة تأويلاً صالحاً، وسلكوا المسالك المستقيمة حتي تصل القصة إلى الأذهان بطريقة سلسة وواضحة، وعند التأمل في قصص القرآن لابد من وضع الهدف القرآني الذي يسهم في عرض القصة والتعرف على مقاصدها وغاياتها.

المطلب السابع

محاولة أهل الكتاب التلاعب بالدين وإضلال المسلمين

لقد حاول بعض أهل الكتاب التلاعب بالدين بإظهار الإسلام ثم الخروج منه، وذلك لفتنة الناس وإضلالهم والتشكيك في المنهج المستقيم الذي فُطِروا عليه، ولازال أهل الباطل في هذا الزمان وكل زمان يسعون لتشكيك الناس في الإسلام، ويزعمون أنه دين الإرهاب، وتكشف لنا هذه الأيام حقيقة هذا المكر والخداع الذي يسلكه أهل الكتاب في خلط الحق بالباطل ومحاولتهم النيل من ديننا، وعلى المسلمين اليوم أن يكونوا على حذر من مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، قال تعالى: **﴿وَقَالَتْ طَابِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** [آل عمران: 72].

قال ابن عطية: "أخبر تعالى في هذه الآية أنَّ طائفة من اليهود من أحبارهم ذهبت إلى خديعة المسلمين بهذا المنزع، قال الحسن: قالت ذلك يهود خيبر ليهود المدينة، قال قتادة وأبو مالك والسدي وغيرهم: قال بعض الأحبار لِنُظهر الإيمان لمحمد ﷺ صدر النهار ثم لنكفر به آخر النهار، فسيقول المسلمون عند ذلك: ما بال هؤلاء كانوا معنا ثم انصرفوا عنا؟ ما ذلك إلا لأنَّهم انكشفت لهم حقيقة في الأمر فيشكون، ولعلهم يرجعون عن الإيمان بمحمد عليه السلام"(1).

وقال ابن كثير: "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنَّهم اشتروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنَّما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: **﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**"(2).

وقوله: **﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ....﴾** [آل عمران: 73] قال البيضاوي: "**﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾** ولا تقروا عن تصديق قلب إلا لأهل دينكم، أو لا تظهروا إيمانكم وجه النهار لمن كان على دينكم فإنَّ رجوعهم أرجى وأهم. **﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾** هو يهدي من يشاء إلى الإيمان ويثبته عليه. **﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾** متعلق بمحذوف أي دبرتم

---

(1) المحرر الوجيز: ابن عطية (453/1).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (59/2).

ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد، والمعنى أنَّ الحسد حملكم على ذلك ولا تؤمنوا أي: ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لأشياعكم، ولا تفشوه إلى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا إلى المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام"[1].

إنَّ الله يكشف حقيقة وخبايا أهل الكتاب وما يُضمرونه من تحايل وإضلال للمسلمين، لقد طالب المتآمرون بعضهم بعضاً أن يظل الأمر سراً حتى لا يفشلوا في مخططهم وهو زعزعة و بلبلة صف المسلمين من الأميين، ولذلك قال هؤلاء المتآمرون بعضهم لبعض: **﴿وَلاَ تؤمنوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾** أي لا تكشفوا سر هذه الخدعة إلا لمن هو على شاكلتكم، لكن الحق يكشف هذا الأمر كله بنزول هذه الآية على رسول الله ﷺ وبلاغه إياها للمؤمنين، وبذلك يفشلوا فيما أرادوه من مكر وخديعة، وارتدت الحرب النفسية إلى صدور من أشعلوها، ويستمر القول الكريم في كشف خديعة هؤلاء البعض من أهل الكتاب فيقول سبحانه: **﴿قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله أَن يؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾** [آل عمران: 73].

إنَّ الحق سبحانه يكشف فعل الماكرين من أهل الكتاب الذين أرادوا إعلان الإيمان أول النهار كَلَونٍ من « هدى النفس » لكنه من صميم الضلال والإضلال وذريعة له، ولم يكن هدى من الله؛ لأنَّ هدى الله إنَّما يوصل الإنسان إلى الغاية التي يريدها الله، وهؤلاء البعض من أهل الكتاب أرادوا بالخديعة أن يجعلوا سيدنا رسول الله ﷺ دون أتباع يؤمنون بالإسلام؛ لقد تواصى هؤلاء القوم من أهل الكتاب بأن يكتموا اتفاقهم على تمثيل الادعاء بالإيمان وجه النهار والكفر به في آخره، وألا يعلنوا ذلك إلا لأهل ديانتهم حتى لا يفقد المكر هدفه، وهو بلبلة المسلمين.

لقد أخذهم الخوف؛ لأنَّ الناس إن أخذوا بدين محمد ﷺ لأوتوا مثلما أوتي أهل الكتاب من معرفة بالمنهج، بل إنَّ المنهج الذي جاء به محمد ﷺ هو المنهج الخاتم، وأهل المكر من أهل الكتاب إنَّما أرادوا أن يحرموا الناس من الإيمان، أو أنَّهم خافوا أن يدخل المسلمون معهم في المحاجة في أمر الإيمان، وكان كل ذلك من قلة الفطنة التي تصل إلى حد الغباء، لأنَّهم توهموا أنَّ الله لا يعرف باطن ما كتموا وظاهر ما فعلوا إنَّهم تناسوا أنَّ الحق يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتطابق ذلك مع سابق فعلهم عندما خرجوا من مصر، وذهبوا إلى التيه أثناء عبور الصحراء، وادعوا أنَّ الله قال لموسى عليه السلام: "علموا بيوتكم أيها الإسرائيليون، لأنَّي سأنزل وأبطش بالبلاد كلها". وكأنَّهم لو لم يضعوا العلامات على البيوت فلن يعرفها الله، إنَّه كلام خائب للغاية بل هو منتهى الخيبة والضلال، ويبلغ الحق رسوله الكريم: **﴿قُلْ إِنَّ الفضل بِيَدِ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ والله وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**.

---

(1) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي (23/2).

وما دام الفضل بيد الله فلن تستطيعوا يا أهل المكر بالمسلمين أن تأخذوا أناسا كما تودون، وبعد ذلك تريدون أن تخدعوهم؛ لأنَّ الفضل حين يؤتيه الله لمن آمن به فلن ينزعه إلا الله، وكان فضل الله على أهل الإيمان عظيماً، فالحيلة والمكر لن تنزع فضل الإيمان بالله مادام قد أعطاه الله، والله واسع بمعنى أنه قادر على إعطاء الفضل لكل الخلق، ولن ينقص ذلك من فضله شيئا، والحق سبحانه عليم بمن يستحق هذا الفضل، لأنَّ قلبه مشغول بربه(1).

قلت إن المحاولات الفاشلة التي قام به أهل الكتاب ومنها التلاعب بالدين كشفت حقيقة هؤلاء وما يضمرونه لهذا الدين العظيم، ولقد كشف القرآن الكريم من خلال الآيات التي استعرضتها قبح أعمالهم وهي فتنة المسلمين واضلالهم، لنكون على حذر منهم.

المطلب الثامن

أداء الأمانة والوفاء بالعهد عند أهل الكتاب من أخلاق المؤمنين

الأمانة خُلقٌ من أخلاق الرجال، وديننا دين الأمانة والإيمان، ولقد تعلمت البشرية هذه الأخلاق من سيد الرجال وسيد الأمناء الصادق الأمين محمد ﷺ، والذي ضرب لنا أروع الأمثلة في هذا الجانب، وإن كانت هذه الأخلاق موجودة في زمن الجاهلية العربية البدوية إلا أن الإسلام نقَّاها من أدرانها وشوائبها.

ولقد صور القرآن حقيقة اليهود الذين يدّعون الأمانة وفي حقيقتهم هم خونة لا يُستأمنون، لأن الله حذرنا منهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها.

أولاً: قال تعالى: **﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 75-77].

هذه الآيات نزلت في اليهود وفيها إخبار من الله تعالى أنَّ من أهل الكتاب أُمناء يؤدون الأمانة ولا يخونونها، ولكن منهم الخائن الذي لا يستأمن على شيء، وأذكر على سبيل المثال أنّ رجلا استأمن فنحاص بن عازوراء على مال فأنكره، ورجل آخر استأمن عبدالله بن سلام فردها عليه، لكن عبدالله بن سلام قادته أمانته إلى الإسلام، أما فنحاص فقد بقي على كفره،

(1)انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (3/1540-1541).

وهذا يعني أن اليهود والنصارى أغلبهم خونة، وبما أنَّ المسلم لا يستطيع أن يكشف خائنهم من أمينهم، فالحزم يقتضي ألاّ يستأمنوا على مال؛ مادام أنّ الله تعالى حذرنا من خيانتهم.

والكثير من المسلمين الذين يتعاملون مع اليهود والنصارى في تجاراتهم يجدونهم أمناء، والحق أنَّ هؤلاء التجار يُظهرون الأمانة ليجروا الزبائن ويجبوا أموال المسلمين[1].

قال الطبري:" فإن قال قائل: وما وجه إخبار الله ﷻ بذلك نبيَّه ﷺ، وقد علمتَ أنّ الناس لم يزالوا كذلك: منهم المؤدِّي أمانته والخائن لها؟ قيل: إنَّما أراد الله ﷻ بإخباره المؤمنين خبرَهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرَهم أن يأتمنوهم على أموالهم، وتخويفهم الاغترارَ بهم، لاستحلال كثير منهم أموالَ المؤمنين"[2].

وتشير الآيات أنَّ اليهود يأكلون أمانات الناس وأموالهم، ويقولون **(لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ)** أي: ليس علينا في أكل أموال المسلمين وغير اليهود إثم أو حرج، بل عليهم الإثم لأنهم خانوا الأمانات ولم يوفوا بوعودهم، والذي يحبه الله ويرضاه التقي الأمين الذي يخاف ربه ويوفي بما عاهده الله عليه.

ثانياً: ثم يأتي التهديد والنذير للخونة، وذلك زجراً وردعاً لهم، قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 77].

أي: إنَّ هؤلاء الخونة الذين خانوا العهود والمواثيق بالأيمان الكاذبة ليأكلوا أموال الناس ظلماً أولئك لا خلاق أي: لا نصيب لهم في الآخرة على خيانتهم وأيمانهم، وإنَّما حرّم عليهم نصيبهم في الآخرة؛ لأنَّهم خانوا الله في دنياهم، والخيانة جريمة عاقبتها وخيمة وتعكر صفو المجتمعات، والخائن لا قيمة ولا وزن له عند الله.

وقوله: **﴿ولاَ يُكَلّمُهُمُ الله﴾** أي: كناية عن شدة وسخط الله عليهم بما اقترفوه، وقوله: **﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** والمقصود من عدم النظر إليهم تحقيرهم وإهمالهم، **﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾** أي: لا يُثني عليهم أو لا يُطَهِّرهم من أوضار الأوزار، ولهم العذاب الأليم جزاءً لهم على ما اقترفوه من المعاصي[3].

والخلاصة: إنّ اليهود خونة لا يُستأمنون على الأموال، وهم يتظاهرون بأنهم أمناء، والله تعالى قد كشف لنا أسرارهم وحقيقة مكرهم، لذا ينبغي على أمة الإسلام الحذر منهم وعدم

(1)انظر: لطائف التفسير: عقيلان (155/1).

(2) جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (519/6).

(3) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود (51/2).

التعامل معهم سيما في الصفقات التجارية، والتي يَجُرُوا من خلالها الزبائن لجباية الأموال، ولقد كشفت وستكشف لنا الأيام القادمة حقيقة هؤلاء اليهود الذين خانوا مَن قبلنا من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

المطلب التاسع

تقوى الله وطاعته والاعتصام بالقرآن من مميزات الشخصية المسلمة

أولاً: قال تعالى: **﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [آل عمران: 101]. تقرر الآيات حقيقة ومميزات الشخصية المسلمة، وهي الاعتصام بالله، قال تعالى: **﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**.

العِصْمة فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: المَنْعُ. وعِصْمةُ اللَّهِ عَبْدَه: أَنْ يَعْصِمَه مِمَّا يُوبِقُه[1].

والاعتصام بالله ﷻ خلقٌ من أخلاق المؤمنين، لأنَّه لا سبيل للهداية إلا بهذا الخُلق القرآني الفريد والذي هو سبب للحفظ والحماية، لمن تخلق به.

قال الزجاج: "أي من يمتنع بالله ﷻ، ويستمسك بحبل الله"[2] **﴿فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾**.

قال القاسمي: "أي من يتمسك بدينه الحق الذي بيّنه بآياته على لسان رسوله، وهو الإسلام والتوحيد، المعّبر عنه بسبيل الله، فهو على هدى لا يَضِل متبعه"[3].

ثانياً: ويتكرر الخطاب القرآني لأهل الإيمان موصياً ومرشداً لهم للإكثار من التقوى لأنَّ تقوى الله ﷻ هي الركيزة التي تستقيم عليها الجماعة المسلمة. قال تعالى: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾** [آل عمران: 102].

التقوى في اللغة: تأتي بمعنى الاتقاء، أي: اتخاذ الوقاية، **وأما في الاصطلاح:** هي الاحتراز بطاعة الله ﷻ عن عقوبته، وصون النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك[4].

وفي هذه الآية يأمر الله سبحانه وتعالى أهل الإيمان بالتقوي، وذلك أن يجعلوا بينهم وبين عقاب الله حاجزاً يقيهم من سخطه، فالمؤمن الحق هو من يجعل لنفسه وقاية من صفات جلال

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (403/12).

(2) معاني القرآن وإعرابه: الزجاج (448/1).

(3) محاسن التأويل: القاسمي (368/2).

(4) انظر: التعريفات: الجرجاني (ص: 65).

الله، وهي القهر والجبروت وغيرها، وحق التقوى أن يكون إيمان العبد راسخاً، متقياً الله ﷻ في السر والنجوى، متبعاً لمنهج الله ﷻ ومؤديا لفرائضه على الوجه الأكمل(1).

قال الصابوني في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ "أي تمسكوا بالإسلام وعضوا عليه بالنواجذ حتى يدرككم الموت وأنتم على تلك الحالة فتموتون على الإسلام والمقصود الأمر بالإقامة على الإسلام"(2).

ثالثاً: ثم تنتقل بنا الآيات إلى ركيزة أخرى تقوم عليها الجماعة المسلمة ألا وهي الأخوة في الله وعلى مراد الله. قال تعالى: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾** [آل عمران: 103].

لقد حرص الاسلام على توحيد الصف والكلمة ونشر المحبة والألفة بين الناس ونبذ الفرقة والتنازع، ولن يصلح حال الأُمة وهي متفرقة متشتتة، ولا شك أن التمسك بالدين هو سبيل العصمة والحفظ، والاعتصام بحبل الله تعالى سبيل للنجاة من الردى وسبيل للسلامة من التردي، والاعتصام بحبل الله ﷻ سبب لرضا الله عن عبده.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إنَّ الله يرضى لكم ثلاثا، ويكره لكم ثلاثا، فيرضى لكم: أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، ويكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)**(3).

وأفضل نعمة يمتن بها الله ﷻ على عباده الأخوة المعتصمة بحبل الله تعالى، وحبل الله تعالى هو دين الإسلام، فالحمد لله تعالى على منه وفضله بهذه النعمة التي يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده والتي فيها تذكرة وعظة لهم كيف كانوا في الجاهلية أعداء، فألف الله تعالى بين قلوبهم وهداهم إلى الطريق المستقيم، وما كان إلاّ الإسلام وحده يجمع بين هذه القلوب المتباعدة، وما كان إلاّ حبل الله تعالى الذي يعتصم به الناس فيصبحون بهذه الاعتصام إخواناً، ولا يمكن للقلوب أن تتقارب دون الأخوة(4).

وقوله تعالى: **﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾** وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج والذي كان بينهم حروب في الجاهلية فلما جاء الإسلام أخرجهم مما هم فيه من

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي: الشعراوي (1657/3).

(2) صفوة التفاسير: الصابوني (200/1).

(3)صحيح مسلم، مسلم، كتاب الاقضية /باب النهي عن كثرة المسائل(1340/2)، رقم الحديث:1715.

(4)انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب (442/1).

العداوة والبغضاء وألف بين قلوبهم وأصبحوا إخواناً متحابين متواصلين في ذات الله ﷻ متعاونين على البر والتقوى(1).

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي يبين لكم الآيات لتزدادوا به إيماناً وهدى. فالموفق من وفقّه الله تعالى لطاعته وتقواه، فجدير بالمسلم أن يتمسك بهذه الأخلاق والتي تصنع منه رجلاً عظيماً ذو مقام شريف، فالتقوى والاعتصام بحبل الله هما الطريق إلى الهداية والرشاد نسأل الله تعالى أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة، وأن يرزقنا الاعتصام به والعمل له، وأن يُوحدَ صفنا ويجمع كلمتنا وأن يردنا إلى دينه رداً جميلاً.

المطلب العاشر

واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أوجب الواجبات، سيما ونحن نعيش في هذا الواقع الأليم والذي كثرت فيه الفتن، وإنَّ ما يُحز في النفس ألماً وكمداً ما نراه من تقصير المسلمين في هذا الواجب والذي أصبحنا نرى المنكرات في زماننا هذا ولا نلقي لها بالاً وكأنَّ الأمر لا يعنينا، وهذا خطب جلل له آثاره ونتائجه والتي من أهمها الوقوع في الفواحش والمنكرات والعياذ بالله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون في الغالب بالأقوال، كما أنَّه قد يكون بدعوة غير المسلم إلى الإسلام، أو بدعوة المسلم العاصي إلى طاعة الله ﷻ وحقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحتاج إلى بصيرة وفهم من الداعي حتى يؤثر فيمن يأمره وينهاه وإلا فإنّ خلاف ذلك يؤدي إلى نفور من تأمرهم بالمعروف، فهذا الأمر يتطلب من الداعي السير وفق قواعد ومناهج راسخة تحقق الأهداف والغايات، فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ينبغي أن يكون عنده علم بالمعروف الذي يدعو إليه وبالمنكر الذي ينهى عنه، ولقد جاء عن بعض السلف: "لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيهاً يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه".

وكذلك يحتاج الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر الرفق والتلطف ولين القول، قال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:43-44](2).

ولقد أعطى القرآن الكريم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قدراً كبيراً من الأهمية، بل جعل الخيرية في الأمة إن أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

---

(1)انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (90/2).

(2)انظر: أصول الدعوة: عبدالكريم زيدان (ص:455-456).

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، ولقد جاءت النصوص لتؤكد أهمية هذه المهمة، وتُحمل أصحابها مسؤولية تبعاتها، فمن الأدلة الصريحة في جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بأداء هذا الواجب والقيام به قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104]. والمقصود من الأمة قيل الجماعة،

وعن الضحاك[1] قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ وخاصة الرواة من العلماء والمجاهدين[2]. قال ابن كثير: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه"[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:... "والله تعالى أخبر بأنَّه (أي الأمة) تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فقد أوجب ذلك على الكفاية منه"[4].

والرأي الراجح الذي ترتاح له النفس أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي وهذا الذي ذهب اليه الكثير من أهل العلم.

ومن النصوص التي جاءت للحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما جاء عن أبي موسى الأشعري ﷺ، عن أبيه، عن جده، قال: قال النبي ﷺ: **(على كل مسلم صدقة" قالوا: فإن لم يجد؟ قال: (فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق) قالوا: فإن لم يستطع أو لم يفعل؟ قال: (فيعين ذا الحاجة الملهوف) قالوا: فإن لم يفعل؟ قال: (فيأمر بالخير) أو قال: (بالمعروف) قال: فإن لم يفعل؟ قال: "فيمسك عن الشر فإنه له صدقة)**[5].

ثم تنتقل الآيات للحديث عن وظيفة هذه الأمة أو الجماعة من الناس ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(1)ترجمة للضحاك: الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب (التفسير). كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه. وكان له أخوان: محمد، ومسلم، وكان يكون ببلخ وبسمرقند. سير أعلام النبلاء :الذهبي (598/4).

(2)انظر: تفسير القرآن: ابن المنذر (325/1)

(3) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (91/2).

(4) مجموع الفتاوي: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم(125/28).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الأدب/ باب كل معروف صدقة (11/8)، رقم الحديث:6022.

والمعروف: "اسمٌ لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه، والمنكر ما ينكر بهما"[1].

والمراد بقوله **(وَأُولَئِكَ)** أي الدعاة الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم المختصون بالفلاح الكامل، والنجاح الواصل[2].

المطلب الحادي عشر

سنة الله في عاقبة المكذبين وإكرام المتقين

اقتضت حكمة الله تعالى في عباده أن جعل لهم سنن، حتى يتعرفوا عليها ويتعايشوا معها كما حدث مع أسلافهم، وحتى لا يقال أنَّها من الخوارق، وسنن الله تعالى في خلقه كثيرة، ويجدر بنا أن نتعرف على معنى هذه السنن.

فالسنن تأتي بمعنى السنة وهي الطريقة أو القاعدة أو السيرة، كما قال صاحب اللسان: "السنة، السيرة، حسنة كانت أو قبيحة"[3].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: أنَّ السنة، هي: " العادة الَّتي تَتَضَمَّنُ أَنْ يَفْعَلَ فِي الثَّانِي مِثْلَ مَا فَعَلَ بِنَظِيرِهِ الْأَوَّلِ"[4].

والحكمة من هذه السنن هي التعرف على أخبار الغابرين واستلهام العبر من قصصهم قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف: 111].

ولقد تحدث القرآن الكريم عن سنة الله تعالى في عاقبة المكذبين وإكرام الله المتقين من خلال قوله تعالى: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: 137].

ولابد أن نعلم أنَّ سنن الله ﷻ ثابتة لا تتغير ولا تتبدل قال تعالى: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ [الفتح: 23] والله ﷻ خلق الكون بقدرته ونضمه وسيَره وفق هذه السنن الثابتة فعلى الإنسان أن يدرك حقيقة هذه السنن وأن لا يغفل عنها؛ لأنَّ الله ﷻ ما خلق في هذا الكون من ساكن أو متحرك أو صغير أو كبير إلا بقدرته فهو المدبر لكل شيء.

ولو تأملنا في أحداث غزوة بدر لوجدنا العناية الإلهية لعباده المتقين عندما كانوا أقلة في العدد والعدة، إلا أنَّهم كان يحملون في قلوبهم عدة الإيمان، فظهرت قدرة الله تعالى لأوليائه

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن: الاصفهاني (375/12).

(2) انظر: حدائق الروح والريحان: الهرري (53/5).

(3) لسان العرب: ابن منظور: (220/13).

(4) مجموع الفتاوى: بن تيمية (20/13).

فنصرهم الله سبحانه وأمدهم بمدد من الملائكة، فهذه هي سنن الله ﷻ التي لا تحابي أحداً فمن آمن وعمل صالحاً أدخله الله تعالى الجنة، ومن كفر أدخله الله تعالى النار، ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن أطاع الله تعالى ورسوله فهو من السعداء في الدنيا والآخرة، ومن عصى الله تعالى ورسوله فهو من الاشقياء في الدنيا والآخرة.

ولقد اقتضت سنة الله تعالى بمعاقبة الذين كذبوا بما جاء به الحق من آيات، والله سبحانه وتعالي يخبرنا في كتابه عن الأقوام الذين سبقونا كيف اقتضت سنته فيهم، وذلك بهلاكهم واستئصالهم وذلك لمخالفتهم الأنبياء والمرسلين، والحرص على الدنيا وملذاتها، وقوله **﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾** أي تعرف أحوال الماضين بقوله: **﴿فَانْظُروا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** فرغب أمة محمد ﷺ في تأمل أحوال الأمم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله تعالى ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها. وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لأنه إذا تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك داعيا إلى الإيمان لأنَّ النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في النفس(1).

قال تعالى: **﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾** أي: إنَّ هذا القرآن واضحاً وقد سمى الله تعالى القرآن بخمسة وخمسين اسماً ومن هذه الاسماء كما ورد في هذه الآية بالبيان(2)، أي واضحاً في معانيه وأحكامه وفيه الموعظة والرشاد لأهل التقوى(3).

وبهذا يتضح أنَّ سنن الله تعالى هداية لنا لأخذ العبر من قصص السابقين والتعرف على عاقبة الذين اتقوا وكيف نصرهم اللهﷻ، وكذلك لنتعرف على عاقبة الله تعالى للذين كذبوا واستدراجه للظالمين، وإملائه للطغاة الكافرين الجبارين، ثم أخذهم في النهاية أخذ عزيز مقتدر، فيجدر بالمسلم أن يتأمل هذه السنن الربانية وأن يأخذ بها بعين الاعتبار والفهم.

المطلب الثاني عشر
فضل التفكر في خلق السماوات والأرض

إنَّ التفكر من أعمال القلوب العظيمة، والكثير من الناس يدركون فضله ولكنهم يجهلون حقيقته وثمرته، والقليل منا من يتدبر ويتفكر، وقد أمرنا الله سبحانه في التفكر والتدبر، ولقد جاء ذكر التفكر في القرآن الكريم في سبع عشرة آية منها: قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾** [آل عمران:190].

(1) انظر: لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن (300/1).
(2) انظر: هذا هو القرآن: محمد الشريف (7/1).
(3) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (295/1).

والتفكر في آلاء الله ﷻ يشعرك بعظمة هذا الخالق المدبر للكون، ويمنحك الشعور بالسكينة والطمأنينة، فجدير بالإنسان أن لا يغفل عن التفكر والتأمل في ملكوت الله ﷻ، وأشرف المجالس وأعلاها مرتبة الجلوس مع النفس والتي من خلالها يتدبر ويتأمل في آيات الله تعالى وصفاته[1].

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "**بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر، قعد فنظر إلى السماء، فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾، ثم (قام فتوضأ واستن فصلى إحدى عشرة ركعة"، ثم أذن بلال، "فصلى ركعتين ثم خرج فصلى الصبح)**[2].

ومعنى قوله تعالى: **﴿الذين يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ﴾** أي يذكرون الله ﷻ بألسنتهم وقلوبهم في جميع الأحوال في حال القيام والقعود والاضطجاع فلا يفترون ولا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم، لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته، فينبغي للمرء أن يداوم على ذلك حتى تستقر السعادة والطمأنينة في قلبه، وأي سعادة أفضل من أن يشتغلها المرء مع ربه ذاكراً وقائماً[3]. وقوله: **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السماوات والأرض﴾** فيه إشارة إلى عبودية القلب والفكر والروح فالتفكر في عظمة هذه المخلوقات يجعل قلب الإنسان مطمئناً ومتفرغاً لعبادة ربه على أكمل وجه[4].

والتفكر يأتي بمعنى أي: أنَّهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك، فيعلمون أنَّه لا يصنع ذلك إلا مَن ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبره، ومن هو على كل شيء قدير، وبيده الإغناء والإفقار، والإعزاز والإذلال، والإحياء والإماتة، والشقاء والسعادة[5].

وقوله تعالى: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** أي يقول الذاكرون المتفكرون في خلق الله: ربنا ما خلقت هذا الذي نشاهده من العوالم العلوية والأرضية التي تدل على عظمتك باطلا، ولا أبدعته عبثا، سبحانك ربنا تنزهت عن الباطل والعبث، بل إن ما خلقته

---

(1) انظر: إلا من أتى الله بقلب سليم: سيد سلام (343/1-344).

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن/ باب قوله" إن في خلق السماوات والارض (41/6) رقم الحديث:4569.

(3) انظر: صفوة التفاسير: الصابوني: (230/1-231).

(4)انظر: مفاتيح الغيب: الرازي (459/9).

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري (775/7).

يا رب كان لحكم جليلة ومصالح عظيمة، فعلى المسلم أن يشكر ربه على هذه النعم التي أنعمها عليه بالدعاء والثناء على الله سبحانه وقوله: ﴿فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾ أي فوفقنا بعنايتك لصالح العمل بما فهمنا من الدلائل حتى يكون ذلك وقاية لنا من عذاب النار [1].

قلت إنَّ التفكر في عجائب هذا الكون من مخلوقات وأسرار عجيبة، تدل على عظمة هذا الخالق، فقد يتأمل الإنسان هذه المخلوقات وما فيها من أسرار، إلا أنَّه قد يغفل عن الذي صوَرها وأبدعها، فينبغي للإنسان أن يتأمل في هذه المخلوقات العظيمة، وأن يعلم علم اليقين أنَّ هذه المخلوقات هي من صنع الله ﷻ الذي أبدعه وصوره في أحسن صورة، فالتفكر صفة من صفات أولي الألباب، وهو من العبادات التي تقربنا من الله ﷻ، فإن استقر هذا التفكر في قلب الإنسان يعظم حب الله ﷻ في قلبه وينشرح صدره ويزداد الإيمان في قلبه.

المطلب الثالث عشر
الصبر والمصابرة والمرابطة طريق الفلاح

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200]. هذا نداءٌ من الله لأهل الإيمان يأمرهم فيه بالتحلي بالصبر والمصابرة والرباط، لأنَّهما السبيل الوحيد للفلاح في الدنيا والآخرة، وقبل الخوض في تفاسير العلماء الأفذاذ لهذه الآية لابد أن نتعرف على معنى الصبر.

فالصبر: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى من غير لغير الله لا إلى الله"[2].

فالصبر خلق من أخلاق الأنبياء والمرسلين تحلوا فيه وهم يدعون إلى الله ﷻ قال تعالى في حق أنبيائه: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنبياء: 85].

ولقد بيَّن ربنا في كتابه العزيز فوائد عظيمة للصبر اذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. سبيل الفلاح قال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].
2. حصول الأجر بغير حساب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: 10].
3. معية الله مع الصابرين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: 153].

---

(1) انظر: تفسير المراغي: المراغي (4/163-164).

(2) التعريفات: الجرجاني (ص:131).

4. سبب محبة الله قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 146].

فالفوائد أكثر من أن نحصرها في هذا المقام، وسياق السورة يعطى أهمية عظيمة للصبر، بل إنَّ موضوع الصبر أخذ مسافة كبيرة في كتاب الله سبحانه.

والصبر سلاح للمؤمن لابد أن يتسلح به في جميع الدروب وقد جاء في الحديث صهيب بن سنان ﷺ قال: قال ﷺ: **(عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له)**[1].

وقيل المراد بالصبر في هذه الآية: اصبروا على الطاعات وعن المخالفات، وتصابروا في ترك الشبهات والشهوات والمنكرات، ورابطوا في الاستقامة والصحبة وعموم الأوقات والحالات[2].

وبعد الحديث عن فضل الصبر والمصابرة، سنُبيّن الحديث أيضاً عن فضل المرابطة في سبيل الله، فقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تبين فضل الرباط في سبيل الله، روى مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **(رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان)**[3].

فأهل الإسلام اليوم في حاجة ماسة للصبر والمصابرة والمرابطة، سيما أهل الشام، لأنَّهم على ثغر، ولن ينسى التاريخ المواقف البطولية للشيخ رائد صلاح وإخوانه الذين ضربوا أروع الأمثلة في هذا الجانب.

قال ابن قدامة: "وأفضل الرباط المقام بأشد الثغور خوفا; لأنَّهم أحوج، ومقامه به أنفع"[4].

وبعد التعرف على معنى الصبر والمصابرة والمرابطة وفضلهما تطالعنا هذه الآية الكريمة على الحظ العظيم الذي يناله المؤمن بصبره وعدم تضجره مما يجده في حياته من مصاعب ومشكلات، وتبين هذه الآية الكريمة حقيقة الفلاح الذي يحظى به المؤمن الصابر الذي يحبس نفسه عما تكرهه من ترك المعاصي والذنوب، والصبر على معضلات الحياة، وكذلك تدعونا الآية إلى المصابرة أي: الملازمة والاستمرار والدوام على ذلك، وتأمرنا أيضاً بالمرابطة ومقارعة الأعداء في جميع الأحوال والمرابطة تعني لزوم المحل الذي يخشى من

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الزهد والرقائق/ باب المؤمن أمره كله خير (2295/4) رقم الحديث:2999.

(2) انظر: لطائف الإشارات: القشيري (309/1).

(3) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الامارة/باب فضل الرباط في سبيل الله (1520/3) رقم الحديث:1913.

(4) المغني: ابن قدامة (168/9).

خلاله وصول العدو، والمسلم بأمس الحاجة إلى المرابطة وسد الثغور والحذر من الأعداء ومنعهم من الوصول إلى مبتغاهم، حتى لا يكون فريسة سهلة لهم، وبهذا يعلم أنَّه لا سبيل للفلاح دون التسلح بهذه الأخلاق العظيمة، ثم أمرهم الله بالتقوى فيما بينه وبينهم، وأن يخافوه لينالوا الفلاح في الدنيا والآخرة[1].

وبهذا يتبين أنَّ هذه الآية الكريمة تربي أصحاب الحق تربية جهادية تُمكِنَهم من التغلب على الأعداء الذين يكيدون للإسلام والمسلمين فالتسلح بهذه الصفات الجليلة من الصبر، والمصابرة، والمرابطة سبيل لعزة المؤمن وفلاحه ونصره على أعدائه.

(1) انظر: تفسير الكريم الرحمن: السعدي (ص:162).

المبحث الرابع

التوجيهات التربوية الجهادية المستنبطة من سورة آل عمران

إنَّ الجهاد في سبيل ذروة سنام هذه الأمة، ولا عزة لهذه الأمة بدونه، فقد أوجب الله ﷻ علينا الجهاد في سبيله، وأمرنا بإعداد القوة التي تُرهب عدونا، وتدفع عنا عدوانه وجبروته، فالجهاد ضروري لهذه الأمة حتى تصبح الأقوى عزيمة وشكيمة.

وما شُرع الجهاد إلا لحماية الدعوة الإسلامية من أن يعترض سبيلها معترض؛ حتي ينتشر الإسلام ويتبدد الظلم والطغيان(1).

وقد جاءت سورة آل عمران ببعض التوجهات التربوية الجهادية والتي تشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول

النصر يأتي وفق الحكمة الإلهية وليس بكثرة العدد والعدة

إنَّ الصف المسلم في خوضه للحروب والمعارك لم ينتصر بكثرة عدد ولاعده؛ وإنَّما ينتصر بإرادة الله ﷻ، والعزيمة الإيمانية الصادقة في نفوس الأبطال، إذ إنَّ الحروب والشدائد كانت تدفعهم نحو الإيمان بالله ﷻ، وبعد تسلحهم بسلاح الإيمان تتجلى إرادة الله بتحقيق مرادهم ونصرهم على الأعداء.

قال تعالى: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾** [آل عمران: 12].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "عن محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب، ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع، وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشًا، فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن قاتلت نفرًا من قريش، كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنَّك لو قاتلتنا لعرفت أنَّا نحن الناس، وأنَّك لم تلق مثلنا، فأنزل الله في ذلك قوله: **﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [آل عمران: 12-13]"(2).

---

(1)انظر: الياقوت النفيس: الشاطري (754/1).

(2) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (17/2).

والخطاب في هذه الآية للنبي محمد ﷺ، وفيه دلالة على صحة نبوته، وذلك لما فيها من الإخبار عن غلبة المؤمنين المشركين(1).

والغلبة هي الهزيمة كما حدث معهم يوم بدر، أي: قل لهم يا محمد ستهزمون وتقتلون على أيدي المؤمنين، وتحشرون بعد الموت إلى جهنم وبئس الفراش(2)، وقال تعالى: **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾** [آل عمران: 13].

تدل هذه الآيات على آية وعلامة وهي نصر الله ﷻ لأوليائه وخذلانه لأعدائه، والفئتان المقصود بهما الفئة المؤمنة والفئة الكافرة، ويُحتمل أن يكون الخطاب للفئتين على العموم، ويُرجح الباحث أن يكون الخطاب على عمومه وإن كان نزولها في أمر مخصوص والله أعلم.

ووصف الله ﷻ للفئة المؤمنة بالقتال فيه مدح وإعلاء من شأنها، إذ كان قتالها خالصاً لوجه الله ورفعةً لدينه ﷻ، ولم يكن قتالهم لغرض دنيوي حقير، ووصفهُ ﷻ للفئة الأخرى بالكفر ذماً لها، لأنَّهم لم يؤمنوا بالحق الذي جاء به النبي محمد ﷺ فأعرضوا عنه عناداً وتكبراً(3).

وبهذا يتضح للباحث من خلال التأمل في الآيات أنَّ النَّصر تصنعه إرادة الله تعالى، وأنَّ الله ﷻ اطّلع على قلوب أهل الإيمان الذين اعتمدوا عليه فوجد منهم الصدق مع أنَّ المؤمنين كانوا يرون أعداءهم أكثر منهم عدداً وعدة، ومع ذلك لم يهابوهم ولم يجبنوا عن لقائهم، بل أقدموا على قتالهم بإيمان وشجاعة فرزقهم الله النصر.

المطلب الثاني
التخطيط للقتال وإعداد القوة يحقق النصر

التخطيط والإعداد للقتال عامل مهم من عوامل النصر، ولو تأملنا في سيرته ﷺ وتدبرناها لوجدنا أنَّ الرسول الكريم ﷺ يضع خطة متكاملة يُحدد فيها الأهداف، ويختار الزمان والمكان المناسبين، ففي غزوة بدر وأُحد نلاحظ أنَّ الرسول ﷺ قد وضع خطة لهاتين المعركتين، وإليكم تفصيل الخطة التي وضعها النبي ﷺ في الإعداد والتجهيز لهذه المعركة، قال تعالى: **﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** [آل عمران: 121].

تشير هذه الآية جهوزية النبي ﷺ وخروجه من بيته في اليوم السابع من شوال ليُنزل المؤمنين منازلهم للقتال، واضعاً بذلك خطة جاهزة، وقد كلف كل واحد من أصحابه بمهمته

(1) انظر: أحكام القرآن: الجصاص (285/2).
(2) انظر: القرآن العظيم: الطبراني (272/1).
(3) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (42/2).

فوضع جماعة على جبل الرماة، وآخرين في الميمنة، وأولئك في الميسرة، وخصص مواضع معينة للفرسان، وقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: لما قاله المؤمنون فيما شاورتهم فيه، وعليم بالنوايا يعلم ما في ضمائركم ويعلم الصادق من الكاذب كعبد الله بن أُبيَ وجماعة المنافقين(1).

ولو تأملنا حال رسول الله ﷺ وهو ينظم صفوف أصحابه ويرتب أجنحتهم إلى ميسرة وميمنة، ويضع خطته الكاملة، ندرك تماماً الحقيقة البارزة في براعته وحنكته العسكرية، التي كان يتمتع بها النبي ﷺ فقد كان في مقدمة المُخططين لفنون وإدارة القتال(2).

وفي بيان قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: 122]، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: **(فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا...﴾ الآية، قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب وقال سفيان مرة: وما يسرني أنَّها لم تنزل)** لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾(3).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل: 123-126].

تشير هذه الآيات إلى تذكير الله جل جلاله عباده المؤمنين بما امتن عليهم من نصر يوم بدر، وهم أذلة في قلة العدد والعدة مع كثرة عدد وعدة أعداءهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وهذه الغزوة تنطوي على دروس جليلة تضمنت معجزات باهرة تتعلق بتأييد الله ونصره للمؤمنين، ومنها: أنَّ الدافع الذي دفع المسلمين للخروج لم يكن القتال والحرب، بل إنَّ الدافع الذي دفعهم هو السيطرة على القافلة التي كانت قادمة من الشام، وبالرغم من مشروعية هذا القصد إلا أنَّ الله أراد لهم خيراً أكثر مما قصدوا، وذلك لصلاح قلوبهم مع الله، وتجلت رعاية الله جل جلاله لأوليائه في هذه المعركة بنزول الملائكة تقاتل مع الصف المسلم(4).

---

(1)انظر: التفسير المنير: الزحيلي (70/4).

(2)انظر: فقه السيرة: البوطي (179/1).

(3)صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا: (240/3) رقم الحديث:4558.

(4) انظر: فقه السيرة: البوطي (158/1).

وبهذا التخطيط العالي والحنكة العسكرية المحكمة يتضح لنا أنَّ القيادة الناجحة هي التي تخطط وتضع الأهداف لتحقيق ما تريد أن تصل إليه، والعمل بدون تخطيط مصيره إلى الفشل وعدم النجاح، والتخطيط الناجح يتطلب معلومات كثيرة ودقيقة عن العدو، وكذلك عن قدرات المُخَطِط ومتطلباته اللازمة من حيث إمكانياته البشرية والمادية بعد الاعتماد على الله سبحانه.

المطلب الثالث

شرف الشهادة في سبيل الله بالإخلاص والصبر والثبات على الحق

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:142].

إنَّ الجهاد الحقيقي هو الذي يُقصد به وجه الله ﷻ وإعلاء كلمته ورفع راية الحق، ومطاردة الباطل، وبذل النفس في مرضاة الله ﷻ، أما إذا أُريد بالجهاد بشيء من حظوظ الدنيا؛ فإنَّه لا يسمى جهاداً على وجه الحقيقة، فمن قاتل ليحظى بمنصب أو ينال شهرة أو ليقال عنه شجاع، لم ينل من الأجر والثواب بشيء[1]. فعن أبي أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، أنَّ رجلاً أعرابياً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: **(الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فَمَنْ في سبيل الله؟** فقال رسول الله ﷺ: **(من قاتل لتكون كلمة الله أعلى، فهو في سبيل الله)**[2].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا**

---

(1) انظر: فقه السنة: سيد سابق (29/3).

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، (1512/3)، رقم الحديث1904.

أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار)[1].

قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** [آل عمران:142]، تُشير الآيات إلى عتاب الله لطائفة من المؤمنين تعرضت لزلة من الزلات، ويُبين الله ﷻ أنَّ السبيل الوحيد لعزة وكرامة المؤمن وفوزه في الدنيا والآخرة منوط بالجهاد والقتال، والصبر والتضحية، فليست الحياة العزيزة مفروشة بالورود، وليس الفوز والنصر مجرد منحة إلهية من غير عمل وجهاد، فلا بد للفوز في الدنيا من الصلاح والاستقامة ونصر دين الله وإقامة العدل، ومنع الظلم، وسلوك الطرق السوية المألوفة، وتلك هي سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير[2].

وقوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾** [آل عمران:143]، قال الكلبي[3]: "وهذه الآية وما بعدها معاتبة لقوم من المؤمنين صدرت منهم أشياء يوم أُحد **﴿تَمَنَّوْنَ المَوت﴾** خوطب به قوم فاتتهم غزوة بدر، فتمنّوا حضور قتال الكفار مع النبي ﷺ ليستدركوا ما فاتهم من الجهاد، فعلى هذا إنَّما تمنوا الجهاد وهو سبب الموت، وقيل: إنَّما تمنَّوا الشهادة في سبيل الله"[4].

وتمني الموت فيه نهي صريح عن النبي ﷺ فعن عبد الله بن أُبي أوفى أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(أيها الناس لا تمنّوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف..)**[5]، فالذين لم يحضروا بدرا يتمنون أن يحضروا مشهدًا مع رسول الله ﷺ لينالوا كرامة الشهادة، فكانوا يتمنون الموت بالشهادة وما علموا أسباب الموت الموصلة للشهادة في سبيل الله ﷻ، فلاريب أنَّ فيها الشدائد لما يجدونه من التحام الصفوف وإراقة

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الامارة، باب من قاتل للرياء والسمعة، (1513/3)، رقم الحديث، 1905.

(2) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (242/1).

(3) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه " القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية – ط " بتونس، و " تقريب الوصول إلى علم الأصول " و " الفوائد العامة في لحن العامة " و " التسهيل لعلوم التنزيل – ط " تفسير، و " الأنوار السنية في الألفاظ السنية – ط " و " وسيلة المسلم " في تهذيب صحيح مسلم، و " البارع في قراءة نافع " و " فهرست " كبير اشتمل على ذكر كثيرين من علماء المشرق والمغرب. وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب.
قال المقريزي: فقد وهو يحرض الناس يوم معركة طريف. الاعلام: الزركلي (325/5).

(4) التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزي (208/1).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا تمنوا لقاء العدو (63/4)، رقم الحديث:3024.

الدماء، وقد ألحوا على رسول الله ﷺ الخروج على المشركين يوم أحد، وكان رأي النبي الإقامة حتي يخرج المشركون، فوقع منهم الزلل وحدث ما حدث(1).

وبهذا يتبين أنَّ الجهاد لا يقبل إلا إذا كان خالصاً لوجه الله ﷻ، فعلى المسلم أن يستحضر النية عند القيام بأي عمل من أعمال الخير، والنية تحتاج إلى تجديد حتى لا يتسرب الشيطان إلى قلب الإنسان فيفسد عليه نيته ويبوء بالخسران.

المطلب الرابع

دعوة الأنبياء لا تنتهي بموت النبي والثبات على الحق سبيل المخلصين

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 144-148].

أولاً: موت القادة لاينهي الدعوات

جاءت هذه الآيات بعد اضطراب صفوف المسلمين في معركة أُحد بلسماً يداوي جروحهم في حياة رسول الله ﷺ ويوم وفاته، فلما اضطربت صفوف المسلمين تمكن المشركون أن يحاصروا المسلمين في زاوية، وينفذوا إلى المقدمة حيث القائد رسول الله ﷺ، وحامل الراية مصعب بن عمير، فانقض رجل من المشركين على مصعب رضي الله عنه فقتله، وسقط اللواء فحمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وظن هذا الرجل المشرك أنَّه قتل رسول الله ﷺ ورجع إلى المشركين وقال لهم: قتلت محمداً، وإنَّما كان قد ضرب رسول الله ﷺ، فشجه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس واعتقدوا أنَّ رسول الله قد قتل، فكان هذا الخبر بمثابة الصاعقة على أصحاب رسول الله ﷺ وتفرقوا من المقدمة ففي ذلك أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه(2).

(1) انظر: حدائق الروح والريحان: الهرري (158/5).

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (128/2).

وفي نزول هذه الآية تذكير للمسلمين أنَّ جميع الأنبياء مضوا وماتوا؛ ولكن عاشت مبادئهم الكريمة ودينهم القويم، وفي قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ وهذا استفهام يحمل معنى التعجب أي كيف يغيب عنكم أيها المؤمنون حقيقة الموت الذي تؤمنون به وتنهار معنوياتكم لنبأ موته(1).

وفي قوله تعالى: ﴿انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ صورة تمثيلية تُبين كيف لإنسان كان مستقيما على شرع الله ﷻ يتزعزع عند حقيقة لا مفر منها، فالأصل أن يُسلِّم الإنسان نفسه لله ولا يجزع ويبقى متمسكاً بدينه وعقيدته؛ لأنَّ الحياة لا تتوقف على موت أحد من الناس، وفي قوله: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً﴾ وإنَّما ضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ الذين لم ينقلبوا وسماهم شاكرين لأنَّهم شكروا نعمة الإسلام فيما فعلوا(2).

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل: عمران:145].

وتشير هذه الآية إلى الحقيقة التي ينبغي أن نستسلم لها، ألا وهي الرضا بقضاء الله وقدره، وانتهاء الأجل منوط بعلم الله ﷻ لا يعلم أحد وقته، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: 34]، والمؤمن مأمور بحفظ حياته، إلاّ في سبيل الله، فيتعين عليه في وقت الجهاد أن يرجع إلى الحقيقة وهي أنَّ الموت بالأجل، والمراد بإذن الله ﷻ تقديره وقت الموت، ووضعه العلامات الدالة على بلوغ ذلك اليوم المقدر (3).

ثانياً: ثبات القادة على الحق

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 146-148].

يستعرض القرآن الكريم من خلال هذه الآيات جهاد الأنبياء ومن تبعهم، وكيف ثبتوا على الحق الذي جاء به الله ﷻ، ولندرك أنَّ ما تعرض له الأنبياء والمرسلون قد بلغ القلوب الحناجر، وخير دليل على ذلك ما حدث مع النبي ﷺ في أُحد، فالنبي ﷺ ليس وحده من تعرض للشدائد، فقد تعرض أولئك الربانيون مع أنبياءهم وانصّبت عليهم المحن والبلايا صباً، فما وهنوا وما

(1) انظر: لطائف التفسير: عقيلان (175/1).
(2) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (298/1).
(3) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (114/4).

جبنوا لما تعرضوا له من شدائد، وثبتوا على الحق، فكان النصر حليفاً لهم على صبرهم واحتسابهم، لأنَّهم أبلوا بلاءً حسناً، واستمدوا هذا الصبر والاحتساب من النبي ﷺ لأنَّه كان أعظمهم صبراً وجلداً.

وقلت: إنَّ هذه الحياة لا تتوقف بموت أحد، فهذا رسولنا الكريم ﷺ غادر الحياة، ولا زلنا نسير على المنهج الذي رسمه لنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ونسأل الله أن يردنا إلى دينه رداً جميلاً.

المطلب الخامس

المعصية ومخالفة أمر القيادة سبب في الفشل والهزيمة في أُحد

ممَّا لا شك فيه أنَّ انعدام الطاعة يورث الهزيمة، ويؤدي إلى الفشل والتنازع، وإنَّ الطاعة والانصياع للقيادة عامل مهم من عوامل النصر على الأعداء، والله ﷻ يقول: **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأنفال:46].

وإنَّ ما حدث من عصيان معظم الرماة لأمر الرسول ﷺ في غزوة أُحد أدى إلى حرمان المسلمين من نصر مؤزر على أعداءهم، وحدث لهم ما حدث، فقد أُثخنت فيهم الجراح رضي الله عنهم(1).

قال تعالى: **﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾** [آل عمران:149]. في هذه الآية يحذر المولى سبحانه أهل الإيمان الذين صدّقوا بالله، من طاعة الذين كفروا وجحدوا نبوة محمد ﷺ من اليهود والنصارى، فيما يطلبونه من أهل الإيمان، وفي حال طاعة المؤمنين لهؤلاء وقبول رأيهم، سيردونهم على أعقابهم ويحملوهم على الرِّدة بعد الإيمان، والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الإسلام، وقوله تعالى: **﴿فتنقلبوا خاسرين﴾**، أي: فترجعوا عن إيمانكم ودينكم الذي هداكم الله له، ومعنى خاسرين يعني: هالكين، قد خسرتم أنفسكم، وضللتم عن دينكم، وذهبت دنياكم وآخرتكم(2).

وقوله تعالى: **﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾** [آل عمران: 150] قال الواحدي: "أَيْ: فاستغنوا عن موالاة الكفَّار فأنا ناصركم فلا تستنصروهم"(3)، فمن كان الله مولاه فمن عليه، فالله ﷻ هو نعم المولى ونعم النصير وكفي بالله ولياً.

---

(1) انظر: المدرسة النبوية العسكرية: محمد أبو فارس (ص 224).

(2) انظر: جامع البيان: الطبري (276/7).

(3) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الواحدي (236/1).

وقوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران:151].

يخبر المولى سبحانه وتعالى في هذه الآية بإلقاء الهلع والخوف والرعب في قلوب الذين أشركوا بالله ﷻ، ولو لم يشركوا ما ارتعبوا ولهدأت واطمأنت قلوبهم إذ إنّ القلوب المؤمنة تطمئن بذكر الله سبحانه.

والرُّعْبُ والرَّعْبُ: الفَزَع والخَوْفُ رعَبَهُ يَرْعَبَهُ رعبا ورَعْباً؛ فهو مرعوب ورعيب: أفزعه؛ ولا تقل: أرعبه ورعبه ترعيباً وترعاباً، فرعب رعبا، وارتعب فهو مرعب ومرتعب أي فزع[1] وقال الراغب: والرعب: "استرخاء القوى وتقطُّعُها من الخوف"[2].

فالله سبحانه قد خص النبي ﷺ بإلقاء الرعب في نفوس أعداءه، فكانوا يهابونه ويحسبون له ألف حساب، فعن جابر بن عبد الله ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(أُعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيَّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)**[3].

وكذلك جرت هذه السنة في أولياء الله ﷻ، والذين لهم في قلوب الأعداء هيبة، فلا يكاد يكون محق إلا ومنه على المبطلين وأصحاب الدعوى والتمويه هيبة في القلوب وقهر[4].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ أي: ويرجع هذا الرعب الذي ألقاه في قلوب الأعداء بسبب الشرك بالله ما لم ينزل به سلطانا ولا حجة على استحقاق العبادة، ومأواهم النار أي: هي مقامهم، وبئس مثوى الظالمين أي: قبح مقامهم، وفي هذا تسلية للفقراء لأنَّ كل من نال بأذيتهم ألقى الله ﷻ في قلبه الرعب[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:152].

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (420/1).

(2) تفسير الراغب: الأصفهاني (907/3).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب التيمم، باب التيمم، (74/1)، رقم الحديث:335.

(4) انظر: لطائف الإشارات: القشيري (285/1).

(5) انظر: البحر المديد: ابن عجيبة (419/1).

وقد جاء من حديث البراء بن عازب ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: **(قال لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي ﷺ جيشا من الرماة وأمّرَ عليهم عبد الله وقال لا تبرحوا إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا، فلما لقينا هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون الغنيمة الغنيمة، فقال عبد الله عهد إلى النبي ﷺأن لا تبرحوا فأبوا، فلما أبوا صرف وجوههم فأصيب سبعون قتيلا، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال لا تجيبوه، فقال أفي القوم ابن أبي قحافة؟ قال لا تجيبوه، فقال أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال إنَّ هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر نفسه، فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله عليك ما يخزيك، قال أبو سفيان اعل هبل، فقال النبي ﷺ أجيبوه، قالوا ما نقول؟ قال قولوا الله أعلى وأجل، قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ أجيبوه قالوا ما نقول؟ قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم، قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال وتجدون مثلة لم آمر بها ولم تسؤني)**[1].

ولقد أقسم الله ﷻ في هذه الآية بنصر المؤمنين في بداية المعركة، وقد أبلوا بلاءً حسناً وأردوا أعداء الله قتلاً وفتكاً، ولكنَّهم لمّا طمعوا في الغنائم، تفرقوا إلى فريقين فريق بقي في مكانه ولم يترك الجبل "جبل الرماة " طاعةً لرسول الله ﷺ، وفريق ترك المكان وطمع في الغنيمة وخالف أمر رسول الله ﷺ، ثم تحول النصر إلى هزيمة، وعفا الله عن المخالفين، وصرف المؤمنين عن المشركين ليمتحن إيمانهم ويظهر الصادقون من المنافقين، وتاب الله بفضله العظيم على المؤمنين[2].

قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:153].

وفي هذه الآية يخبر الله ﷻ المؤمنين ويذكرهم بما حصل معهم من حلول الهزيمة بسبب مخالفتهم لأمر رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ أي: تفرون صعداً في أعلى الجبل ﴿وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ﴾ أي لا تلتفتون وهمكم النجاة ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ أي: يناديكم من خلفكم بالثبات وعدم الخوف ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. فأصابهم الغم مقابل ما اقترفوه من هم النبيﷺ، والله خبير لا تخفى عليه خافية من أعمالكم[3].

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة أحد (85/3) رقم الحديث: 4043.

(2)انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (249/1).

(3)انظر: لطائف التفسير: عقيلان (187/1).

قلت: وإن كان قد مر بالمسلمين مواقف كان النصر فيها حليفاً لهم، فإنّهم كذلك مروا بمواقف الهزيمة إلاّ أنَّهم لم يجبنوا وصبروا على ما أصابهم، والقرآن الكريم قد طيّب من خاطرهم وخاطبهم خطاباً فيه رقة وشفقة عليهم، ولابد أن نعلم أنَّ غياب الطاعة يجلب الهزيمة والخسران، ونسأل الله أن يُعيننا على طاعته وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

المطلب السادس

التحذير من طاعة الكافرين وترغيب المؤمنين في الجهاد وبيان فضله

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمرن:156]. تحذر هذه الآية وتنهى المؤمنين من مشابهة الكافرين الذين لا يؤمنون بربهم ولا يؤمنون بقضاء الله وقدره، والحكمة من النهي عن مشابهة هؤلاء من الكفار والمنافقين أنَّ الشيطان كان يوسوس لهم من أنَّ السفر أو الجهاد عرضة للقتل أو الموت، فهم يقولون في شأن إخوانهم في الدين، الذين يسافرون للتجارة، أو يجاهدون في سبيل الله، فيموتوا أو يقتلوا: لو كانوا عندنا مقيمين، لم يبرحوا مكانهم، ما ماتوا وما قتلوا، وهذا معتقد باطل لا أساس له من الصحة، فالجبان والمنافق يعتقد لو قعد في بيته لم يمت، وحينئذ يتحسر أو يتلهف لو سافر أو جاهد، بخلاف المؤمن الشجاع فهو لا يبالي بذلك، فيسلم أمره إلى الله سبحانه، فلابد للمسلم أن يكون على حذر من التشبه بهؤلاء وأن يعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ الله ﷻ هو الذي يحيى ويميت وهو بصير لا تخفى عليه خافية(1).

قال القشيري: "مَنْ تعوَّد أن يتلهف على ماضيه وسالفه، أو يتدبر في مستقبله وآنِفِه، فأقلُّ عقوبة له ضِيق قلبه في تفرقة الهموم، وامتحاء(2) نعت الحياة عن قلبه لغفلته وقالته ليت كذا ولعلَّ كذا، وثمرةُ الفكرة في ليت ولعلَّ الوحشةُ والحسرةُ وضيق القلبِ والتفرقة"(3).

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران: 157]، يخبر المولى سبحانه أنَّ القتل في سبيله هو أسمى الغايات وليس فيه منقصة، وهو مما ينبغي أن يتسابق إليه المتسابقون، لأنَّه هو الموصل إلى مغفرة الله ﷻ ورحمته، وهذا هو خير ما يُجمع من الدنيا، لذا تجد الإقبال الكثير من الشباب المتحمس للخوض في غمار

---

(1) انظر: التفسير الوسيط: الزحيلي (252/1).

(2) الإمتحاء والإمحاء هو انتزاع الشيء من أصله أي طمسه وذهابه انظر: المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى (852/2).

(3) لطائف الإشارات: القشيري (407/1).

المعارك ضد أعداء الله سبحانه، وما ذاك إلا لحبهم للشهادة في سبيل الله ﷻ، كيف لا وهي أسمى أمانيهم لأنَّها الطريق الذي يوصلهم إلى مغفرة الله وجنته(1).

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران:158]، والمقصود من الآية أي: علي أي حال كان سبب موتكم، فإنَّكم ستحشرون إلى الله ﷻ وسيجازيكم بأعمالكم، فقدموا ما يقربكم إلى الله ﷻ من العمل والجهاد في سبيله، ولا تركنوا إلى الدنيا وملذاتها فتهلكوا(2).

وبهذا يتأكد أنَّ طاعة الكافرين تعتبر عثرة كبيرة، ولن تُجبر إلا بطاعة الله سبحانه، فلنكن على حذر من طاعة الكافرين، وألا ننساق إلى وساوس الشيطان فنضِّل وننحرف عن الطريق المستقيم، ولنصوب رأينا نحو أسمى أماني هذه الأمة وذروة سنامها ألا وهو الجهاد في سبيل اللهﷻ، ولنحذر من الإغترار بالحياة الدنيا، لأنَّ متاعها قليل وماعند الله خير وأبقى.

المطلب السابع

معاملة النبي ﷺ لأصحابه بالرفق والعفو والمشاورة والوعد بالنصر

ممَّا ينبغي للحاكم المسلم والداعي إلى الله ﷻ التحلي به الحكمة والسداد، وما دام الداعي المسلم يتعامل مع من يدعوهم إلى الله سبحانه بشفقة ورحمة، فإنَّ ذلك أدعى لتآلف القلوب، وكسباً للمودة والمحبة والعفو والصفح عنهم في حق نفسه(3).

أولاً: معاملة النبي ﷺ لأصحابه بالرفق واللين

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

تطالعنا هذه الآية وترسم لنا منهجية النبي في التعامل مع أصحابه رضي الله عنهم بالعفو والصفح، ويُعد هذا نموذجاً رائعاً له نتائجه وثماره، فبعد رجوع الصحابة رضوان الله عليهم من معركة أُحد تأسف الصحابة رضوان الله عليهم أسفاً بالغاً على ما حدث منهم، لأنَّهم تفرقوا من حول رسول الله ﷺ فمكنوا بذلك أعداء الله تعالى من النفوذ إلى رسول الله ﷺ، والنيل منه نيلاً شديداً، وكان الصحابة يتوقعون أنَّ الرسول الكريم ﷺ سوف يعاقبهم ويعاتبهم على ما بدر منهم، فلما اجتمعوا به ﷺ لم يعاتبهم ولم ينهرهم وهذا من كرم خلقه، فأسدل عليهم من عفوه وصفحه

(1) انظر: تيسير الكريم الرحمن: السعدي (ص153).

(2) انظر: تيسير التفسير: إبراهيم القطان (234/1).

(3) انظر: أصول الدعوة: عبد الكريم زيدان (ص 342).

وتجاوز عنهم، وإنَّما سمعوا منه قول الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** [آل عمران:155].

ثم أقبل رسول الله ﷺ عليهم يجبر من خواطرهم، ويكفكف من دموعهم، ويخفف من مصابهم، ويعلمهم درساً في الصبر، ليعلموا أنَّ المحن والبلايا تحمل بين طياتها المنح والفتوحات[1].

وقوله تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾** فيه إشارة وتذكير لأولي الألباب من أنَّ اللين والرفق من مكارم الأخلاق، وهي هبة ورحمة من الله ﷻ، وينبغي على الداعية إلى الله ﷻ التحلي بهذه الأخلاق الفاضلة في حين أنَّنا نرى الكثير من الدعاة الذين يتصدرون الوعظ والهداية يلجؤون إلى أسلوب التشدد والغلظة والقسوة مع الناس في دعوتهم[2].

وهذا مخالف لهدي رسول الله ﷺ، فعلى الداعي إلى الله تعالى أن يرفق بالناس ولا يقسو عليهم، فعن عائشة زوج النبي ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: يا عائشة: **(إنَّ الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)[3].**

ثانياً: الشورى مدرسة تربوية للأمة:

قال تعالى: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾** قال الزحيلي: "ومن مقومات الإسلام ودعوته: الشورى، فهي من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، ومن لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، وقد مدح الله المؤمنين بقوله: **﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾**" [الشورى: 38][4].

فالشورى مدرسة تربوية للأمة تظهر من خلالها شخصيتها وتحقق ذاتها، والقيادة الناجحة هي التي تتخذ قراراتها عبر المشورة ووحدة الرأي[5].

وقوله تعالى: **﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** قال الرازي: "دلت الآية على أنَّه ليس التوكل أن يهمل الإنسان نفسه، كما يقوله بعض الجهال، وإلا لكان الأمر

---

(1) انظر: من لطائف التفسير: عقيلان (177/1).

(2) انظر: لطائف التفسير: عقيلان (ص187).

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر، باب فضل الرفق، (2003/4)، رقم الحديث، 2593.

(4) التفسير الوسيط: الزحيلي (254/1).

(5) انظر: المدرسة النبوية العسكرية: محمد أبو فارس (ص128).

بالمشاورة منافيا للأمر بالتوكل، بل التوكل هو أن يراعي الإنسان الأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق"(1).

والتوكل هو أن يأخذ الإنسان بالأسباب الظاهرة، ولكن لا يعول بقلبه عليها، بل يعول على عصمة الحق، وأن يفوض أمره إلى الله ﷻ ليتحصل على المحبة(2).

ثالثاً: النصر من عند الله

قال تعالى: **﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [آل عمران:160].

يخبر الله تعالى بأنَّه هو الناصر وكفى به نصيراً، والنَّصر من الله ﷻ يكون معونة ومنع، فالله ﷻ هو الذي يُعين أولياءه، ويمنع عنهم شرور الأعداء كما حصل مع المؤمنين في بدر، وقوله تعالى: **﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ﴾** أي: لا يستطيع أحد هزيمتكم وهو معكم، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾**، والخذلان هو ترك النصرة، فإن تخلى عنك الناس ووكلت أمرك إلى الله فلا أحد يستطيع أن يخذلك والله تعالى معك، لانَّ النصر بيده سبحانه، وعلى الله وحده يعتمد المؤمنون لا على غيره، فالمسلم الواثق بالله ﷻ لن يتركه الله سبحانه ولن يضيعه(3).

وبهذا يتبين الأثر التربوي في أنَّ الداعية إلى الله هو القدوة التي يحتذى بها، ومتى وجد الداعي الشفقة والرحمة على عباد الله ﷻ، كان ذلك مفتاح الوصول إلى قلوبهم، وهو في سبيل هذه الغاية قد حقق مراده ووصل إلى أهدافه المنشودة، وبهذا يتحقق وعده سبحانه لهذا الداعي إليه بالنصر والغلبة وعدم الخذلان.

---

(1) مفاتيح الغيب: الرازي (410/9).

(2) انظر: محاسن التأويل: القاسمي (449/2).

(3) انظر: تفسير حقي: حقي (329/2).

الفصل الثاني

الأساليب الواردة في التوجيهات التربوية في ضوء سورة آل عمران

الفصل الثاني

الأساليب الواردة في التوجيهات التربويةفي ضوء سورة آل عمران

ويشتمل هذا الفصل على العديد من الأساليب الدعوية والبيانية منها:

المطلب الأول

أسلوب الأمر

أولاً: معنى الأمر لغة واصطلاحاً:

1. **الأمر لغة:** هو طلب الفعل على سبيل الوجوب وهو ضد النهي(1).
2. **الأمر اصطلاحاً:** هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء(2).

ثانياً: أمثلة على أسلوب الأمر في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [آل عمران:26].

أسلوب الأمر في الآية السابقة في قوله يقع في فعل الأمر (قل) وهو خطاب للرسول ﷺ يأمره أن يبين عظمة الله ﷻ، وأنه مالك الملك وأن الملك كله لله يؤتيه من يشاء من عباده وينزعه ممن يشاء، وأن الله ﷻ هو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وأن الأمر كله لله ﷻ، وجاءت هذه الآية في سياق التعريض بأهل الكتاب وقد بيّن سبحانه بأنَّ إعراضهم إنَّما هو حسد على زوال النبوءة منهم، وانقراض الملك منهم، بتهديدهم وبإقامة الحجة عليهم في أنَّه لا عجب أن تنتقل النبوءة من بني إسرائيل إلى العرب، مع الإيماء إلى أنَّ الشريعة الإسلامية شريعة مقارنة للسلطان والملك(3).

2. وقوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ**﴾ يتبين من خلالها الغرض المجازي في عظمته تعالى وعظيم قدرته؛ وفيه أيضاً إفحام لمن كذب النبي ﷺ وردَّ عليه لاسيما المنافقين الذين هم أسوأ حالاً من اليهود والنّصارى، وبشارة له ﷺ بالغلبة الحسية على من خالفه كغلبته بالحجة على من جادله، وبهذا تنتظم هذه الآية الكريمة بما قبلها(4).

---

(1)انظر: معجم مقاييس اللغة: ابن فارس (137/1).

(2)علوم البلاغة: المراغي (ص75).

(3) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (212/3).

(4) انظر: روح المعاني: الالوسي (466/2).

3. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:29].

أسلوب الأمر في الآية السابقة يتمثل في فعل الأمر (قل) وهو خطاب للرسول محمد ﷺ يأمره الله أن يخاطب الكفار والمعاندين ويعلمهم أن كل ما يضمره العبد ويخفيه، أو يظهره ويبديه فإن الله يعلمه، فهو معلوم عند الله سبحانه لا تخفى عليه خافية، ولا يخفى عليه ما هو أخص من ذلك.

4. قال تعالى: ﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:64].

أسلوب الأمر في الآية السابقة يتمثل في فعل الأمر (قل) وهو خطاب من الله تعالى يأمر رسوله محمد ﷺ أن يخاطب أهل الكتاب بما أمره الله به من توحيد الله وإفراده بالعبادة وعدم الإشراك به شيئا، وتشير الآيات إلى أنَّ دين الإسلام يهدف إلى تحقيق كلمة التوحيد وصون حماه عن كل شرك ﴿وقل﴾ فعل أمر وفاعله أنت ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ﴿تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ﴾ الجملة نصب على أنها مقول القول[1].

5. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ﴾ [آل عمران:98]. أسلوب الأمر في الآية يقع في قوله تعالى (قل) والمخاطب هو الرسول محمد ﷺ.

إنَّ الخطاب القرآني يستخدم أسلوب الإنشاء في كثير من الآيات وما ذلك إلا لأغراض أرادها من ورائه، فأولاً جاء بالأمر ﴿قُل﴾ اهتماما بالمقول وافتتح المقول بالنداء تسجيلاً عليهم ثم بالاستفهام إنكاراً لكفرهم بآيات الله ﷻ ومن خلال التأمل في آيات الله نجد أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها التعبير بالأمر وهو أكثر الأساليب الكلامية استخداماً في نصوص الشرع من الكتاب والسنة، فالدين مداره على الأمر والنهي، وإذا لم يفهم الداعية المراد من أساليب الأمر والنهي، وحملهما على محمل واحد، وهو الوجوب فعلاً وتركاً؛ لضاقت سبل فهم الشرع على المسلمين، وتعسرت أمورهم وحياتهم بالكلية، ولنفر الناس منه نفوراً شديداً، والداعية إذا لم يفهم الاستعمالات الحقيقية والمجازية لأساليب الأمر والنهي صار معولاً لهدم

(1)انظر: إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين درويش (526/1).

الدين والشريعة، لذلك ينبغي للمتدبر لآيات الله الوقوف على هذا الأسلوب واستلهام الدروس والعبر منه.

المطلب الثاني
أسلوب النهي

أولاً: معنى النهي لغة واصطلاحاً:

1. **النهي لغة:** خلاف الأمر نقول نهيته عنه، وفي لغة نهوته عنه، والنهاية هي الغاية حيث ينتهى إليها الشيء أي بلغ نهايته(1).
2. **النهي اصطلاحاً:** هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة، هي: المضارع، مع لا الناهية(2).

والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها النهي وهو أكثر الأساليب الكلامية استخداماً في نصوص الشرع من الكتاب والسنة، فالدين مداره على الأمر والنهي، وإذا لم يفهم الداعية المراد من أساليب الأمر والنهي، وحملهما على محمل واحد، وهو الوجوب فعلاً وتركاً؛ لضاقت سبل فهم الشرع على المسلمين، وتعسرت أمورهم وحياتهم بالكلية، ولنفر الناس منه نفوراً شديداً، والداعية والخطيب إذا لم يفهم الاستعمالات الحقيقية والمجازية لأساليب الأمر والنهي صار معولاً لهدم الدين والشريعة، لذلك سوف يتناول الباحث الحديث حول هذا الاسلوب من خلال بعض الآيات في سورة آل عمران.

ثانياً: أمثلة على أسلوب النهي في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ**﴾ [آل عمران: 28].

الخطاب في هذه الآية إلى أهل الإيمان، وفيه النهي عن موالاة الكافرين، واتخاذهم أولياء لقرابة أو صداقة أو نحو ذلك، وإنَّما الواجب في الموالاة هو موالاة بعضهم بعضا، وقال ابن عباس ﷺ: نهوا أن يلاطفوا الكفار ويتخذونهم أولياء، فإنَّ موالاتنا لهؤلاء الكفار مع اعتقادنا ببطلان دينهم يعد كفراً بواحا لأنَّ الرضا بالكفر كفر، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ**﴾ إشارة إلى اتّخاذهم أولياء، وهذا يدلّ على المبالغة في ترك الموالاة إذ نفى عن متوليهم أن يكون في شيء

---

(1) انظر: مجمل اللغة: بن فارس (884/1).

(2) علوم البلاغة البيان المعاني البديع للمراغي (79).

من الله، ثم استثنى سبحانه حالة تجوز فيها موالاة الكفار، وهي حالة الخوف من شيء، يجب اتّقاؤه منهم، كالقتل مثلا أي حال اتّقاء الضّرر فتجوز موالاتهم حينئذ لأنَّ درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح. وإذا جازت موالاتهم لدفع الضّرر، فتجوز لنفع الإسلام والمسلمين. ويكون ذلك للضّرورة، مثل النّطق بالكفر حال الإكراه قال تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ﴾** [النحل: 106][1].

2. قال تعالى: ﴿**الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [آل عمران: 60]، الخطاب في هذه الآية للنبي ﷺ والأسلوب المستخدم هو أسلوب النهي أي: إنَّ الحق الذي جاء من عند ربك في أمر عيسى عليه السلام هو الحق الذي لا يحتاج إلي الشك وحاشاه ﷺ أن يكون شاكاً فيما جاء به الحق، وإنَّما المقصود من النهي في قوله تعالى: **﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾** إما زيادة تهييجه ﷺ على الثبات والطمأنينة، وحاشاه أن يكون شاكا أو ممتريا، أو أنَّ الخطاب لغيره لطفا بهم[2].

وبهذا يتبين أنَّ القصد من هذا الخطاب ثبات النبي ﷺ والتعريض يكون بغيره وهم النصارى الذين يمارون في ألوهية عيسى عليه السلام.

قال ابن عطية: "ونهي النبي ﷺ في عبارة اقتضت ذم الممترين، وهذا يدل على أنَّ المراد بالامتراء غيره، ولو قيل: فلا تكن ممتريا لكانت هذه الدلالة أقل، ولو قيل فلا تمتر لكانت أقل ونهي النبي ﷺ عن الامتراء مع بعده عنه على جهة التثبيت والدوام على حاله"[3].

3. قال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ [آل عمران:156].

تشير الآية إلى النهي الصريح لأهل الإيمان أن يشابهوا أهل الكفر في معتقداتهم، والإقبال على المؤمنين بالخطاب جاء تلطفاً بهم جميعاً بعد تقريع فريق منهم الذين تولوا يوم التقى الجمعان، والضرب في الأرض قيل المراد منه السفر في مصالح المسلمين لأنَّ ذلك هو الذي يلومهم عليه الكفار، وقيل: أريد بالضرب في الأرض التجارة، وعليه يكون قرنه مع القتل

(1) انظر: التفسير المنير: الزحيلي (3/199-200).

(2) انظر: إعراب القرآن وبيانه: محي الدين الدرويش (1/523).

(3) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية (1/447).

في الغزو لكونهما كذلك في عقيدة الكفار، ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فالإشارة تدل على القول بالاعتقاد أي: إن اعتقدتم اعتقادهم لحقكم أثره كما لحقهم[1].

4. قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139] تضمنت هذه الآية أعظم تعزية، وفيها النهي للمؤمنين من عدم الوهن والحزن زاستعمل الوهن والحزن لأنّهما من الأمراض الخطيرة التي إذا استولت علىا الأمة فتكت بها، لذا حذرنا ربنا تبارك وتعالى من هذين المرضين، لأنَّ مصيرهما الفشل، والنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد، كما ينهى عن النسيان، وكما ينهى أحد عن فعل غيره في نحو لا أرينَّ فلانا في موضع كذا أي: لا تتركه يحل فيه، ولذلك قدم على هذا النهي قوله: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ وعقب بقوله: ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وقرن العلو بالإيمان فيه إشارة إلهية أنَّ المظهر الخارجي لا يدل على الحقيقة، والتعليق بالشرط في قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله أنَّهم مؤمنون ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان، وجيء بإنّ الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها، إتماما لهذا المقصد[2].

وبهذا ندرك مدي أهمية أسلوب النهي الذي جاء به القرآن ليضع لكل واحد منا حداً لا يتجاوزه ويمتثل أوامر الله ﷻ.

المطلب الثالث
أسلوب التوكيد

أولاً: معنى التوكيد لغة واصطلاحاً:

1. **التوكيد لغة:** الوكد يأتي بمعنى أكده أي وثقه والتوكيد أفصح من التأكيد، وإن كان المعنى منهما واحد[3].
2. **التوكيد اصطلاحاً:** :"تابع يذكَر في الكلام لدفع ما قد يتوهمه السامع، مما ليس مقصوداً"[4].

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (4/141-142).

(2) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (4/98-99).

(3) انظر: لسان العرب: ابن منظور (3/466-467).

(4) النحو الواضح في قواعد اللغة: مدخل (ص389).

وبهذا يمكن أن يلخص الباحث مفهوم التوكيد، "بأنَّه صورة بلاغية الغرض منها إعطاء أهمية خاصة لكلمة أو عبارة"(1).

والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على أساليب متنوعة، ومن هذه الأساليب أسلوب التوكيد، والذي له الأثر الكبير في العقيدة وإقناع المعاندين للإسلام، ومن خلال هذا التعريف سيتناول الباحث بعض الآيات القرآنية من سورة آل عمران التي جاءت خطاباً للتأكيد.

ثانياً: أمثلة على أسلوب التوكيد من سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[آل عمران: 13].

جاءت هذه الآية متحدثة عن ضرب من ضروب التأكيد، وقد حرف تحقيق، والخطاب في قوله: ﴿**قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ**﴾ قد حرف تحقيق وفيه خطاب للذين كفروا، كما هو الظاهر؛ لأنّ المقام للمحاجّة، فأعقب الإنذار والوعيد بإقامة الحجّة. فيكون من جملة المقول، ويجوز أن يكون الخطاب للمسلمين، فيكون استئنافاً ناشئاً عن قوله ستُغلبون؛ إذ لعلّ كثرة المخاطبين من المشركين، أو اليهود، أو كليهما، يثير تعجّب السامعين من غلبهم فذكرهم الله تعالى بما كان يوم بدر، والفئتان هما المسلمون والمشركون يوم بدر(2).

وفي الآية أسلوب التوكيد آخر في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ قد أكدت الجملة بحرف التوكيد **إنَّ** وتقديم خبرها **(فِي ذَٰلِكَ)** على اسمها وهو **(لَعِبْرَةً)** ودخول اللام المزحلقة عليه وكل ذلك زيادة في التأكيد حتى لا يجعل مجالا للإنكار.

2. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾ [آل عمران:19].

جاءت هذه الآية لتؤكد ضرباً من ضروب التأكيد، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ**﴾ جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى، وقد أخبر المولى سبحانه في هذه الآية أن الدين الذي ارتضاه ولا يقبل غيره هو دين الإسلام.

---

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ص85).

(2) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (175/3).

في هذه الآية أكدت الجملة بحرف التوكيد **(إنَّ)** وكلمة **(الدين)** هو اسمها منصوب بالفتحة و**(الإسلام)** خبرها، وتوسط شبه الجملة **(عند الله)** أفاد الحصر بمعنى أنَّ الدين الحق هو دين الإسلام وهو المقبول عند الله وليس سواه من الأديان.

قال ابن عاشور: "وتوكيد الكلام ب**(أنّ)** تحقيق لما تضمنَّه من حصر حقيقة الدين عند الله في الإسلام: أي الدين الكامل"(1).

وبهذا يثبت أنَّ الدين الوحيد الذي ارتضاه الله ﷻ هو دين الإسلام والذي أتمه الله علينا لأنَّه الهادي إلى السبيل، وهو دين الوسطية والاعتدال القائم على التربية والاخلاق الحميدة.

3. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [آل عمران: 155].

﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق وعفا الله فعل وفاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾** إن واسمها، وغفور حليم خبران لإن والجملة تعليلية لقوله: عفا عنهم.

4. قال تعالى: **﴿أَوَلَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [آل عمران: 165].

وقوله: **(قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها)** الجملة صفة لمصيبة وقد حرف تحقيق وأصبتم فعل وفاعل ومثليها مفعول به **(قُلْتُمْ أَنَّى هذا)** جملة قلتم لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وأنى اسم استفهام خبر مقدّم وهذا مبتدأ مؤخر والجملة الإسمية في محل نصب مقول القول والمعنى: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل ونحن نقاتل في سبيل الله ومعنا رسول الله وقد وعدنا الله بالنصر عليهم؟ **(قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ)** جملة القول مقول للقول وهو مبتدأ ومن عند أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر **(إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** إن واسمها وخبرها وعلى كل شيء جار ومجرور متعلقان بقدير والجملة تعليلية لا محل لها(2).

(1) التحرير والتنوير: ابن عاشور (188/3).

(2) إعراب القرآن وبيانه، درويش، (100/2).

المطلب الرابع
أسلوب الشرط

أولاً: معنى الشرط لغة واصطلاحاً:

1. **الشرط لغة:** يقصد به العلامة ومنه أشراط الساعة أي: علاماتها[1].
2. **الشرط اصطلاحاً:** هو اقتران وتلازم جملتين بحيث تكون أحداهما شرطاً والثانية جواباً، وذلك بوجود أداة الشرط[2].

ثانياً: أمثلة على أسلوب الشرط من سورة آل عمران:

والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها أسلوب الشرط منها:

1. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران:31].

جاء أسلوب الشرط في هذه الآية مكون من أداة الشرط وهي **(إن)** وفعل الشرط **(كنتم)** وجواب الشرط فيها جملة اسمية مقترنة بالفاء وهي **(فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)** وبذلك تصبح محبة الله تعالى فعلا للشرط[3].

تبين الآية أنَّ محبة الله تعالى لعبده هي أسمى الأماني، وغاية الآمال وبها ينال العبد أرقى المنازل، ومحبة الله تعالى إنَّما تستلزم اخلاص العبادة لله ﷻ والوقوف عند أوامره والاستجابة لتعاليم رسوله ﷺ وكل من يدعى أنَّه محب الله وهو معرض عن أوامره ونواهيه فهو كاذب في دعواه[4].

وقد جاءت الآية تتحدث عن محبة الله، فكلما كان الإنسان قريبا من محبوبه تتعاظم هذه الصلة، ويصبح العبد قريبا من مولاه، ومن كمال محبة الله ﷻ اتباع رسوله ﷺ فإذا تحقق الاتّباع دل على كمال محبة الله ﷻ.

2. قال تعالى: ﴿**وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:92].

---

(1)انظر: التعريفات: الجرجاني (ص: 125).

(2) انظر: رسالة المباحث المرضية: المسألة الثالثة (55/1).

(3)انظر: التحرير والتنوير: لابن عاشور (225/3).

(4)انظر: التفسيرالوسيط: طنطاوي (82/2).

وقوله **(وما)** الواو استئنافية ما اسم شرط جازم مبني على السكون في محل نصب مفعول **(تُنْفِقُوا)** فعل مضارع مجزوم بحذف النون وهو فعل الشرط، وقوله: **(فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)** الفاء رابطة لجواب الشرطة و**(إنّ)** حرف مشبه بالفعل ولفظ الجلال **(الله)** اسمها و**(عليم)** خبرها والجار والمجرور متعلقان بعليم والجملة في محل جزم جواب الشرط[1].

وما ينفقه الإنسان سواء بطيب خاطره أو غيره فالله سبحانه وتعالى عليم لا تخفى عليه خافية، فيجدر بالإنسان عند النفقة أن تكون نفقته بطيب خاطره حتى يجد ثوابها عند الله سبحانه.

3. قال تعالى: ﴿**إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِما يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران: 120].

جاء ثلاثة أساليب للشرط في هذه الآية لبيان شدة حقد الكفار وعدواتهم للمسلمين وتفننهم في أصناف العدوات، الأسلوب الأول في قوله **(إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ)** فحرف **(إن)** شرطية والفعل المضارع **(تَمْسَسْكُمْ..)** هو فعل الشرط وكلمة **(تَسُؤْهُمْ)** هو جواب الشرط، وأسلوب الشرط الثاني وهو قوله **(وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِها)** مكون من حرف الشرط **(إِنْ)** معطوف على أسلوب الشرط الأول وفعل الشرط **(تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ)** وجملة **(يَفْرَحُوا بِها) جواب الشرط**، وأسلوب الشرط الثالث في هذه الآية في قوله **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)** معطوف على السابق، وحرف الشرط هو **(إن)** وفعل الشرط هو **(تَصْبِرُوا)** وجواب الشرط هو جملة **(لا يَضُرُّكُمْ ..)** لا نافية **(يضركم)** مضارع مجزوم لأنَّه جواب الشرط[2].

وبهذا يكشف الله سبحانه ما في صدور هؤلاء الكفار من غل وحقد وعداوة، ويبين لأهل الايمان أنَّ هذا الكيد والمكر والبغض لا يضرهم ما داموا على الصبر تقوى منه سبحانه، وإنَّ المكر السيء لا يحيق إلا بأهله.

4. قال تعالى: ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: 140].

وجاء اسلوب الشرط في قوله **(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ)** فحرف الشرط **(إن)**، فعل الشرط **(يَمْسَسْكُمْ)** وجملة **(فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ)** قد للتحقيق **(مس القوم)** فعل ماض

(1)انظر: اعراب القرآن وبيانه: درويش (563/1-564).

(2)انظر: إعراب القرآن: الدعاس (158/1).

ومفعوله وفاعله مؤخر والجملة معطوفة بالفاء «مِثْلُهُ» صفة قرح وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا تيأسوا[1]، وقد جاء جواب الشرط في قوله **(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ...)** محذوف. والتقدير إن يمسسكم قرح من آلام أو هموم أو هزيمة؛ فاصبروا على ما أصابكم واعقدوا عزمكم على قتال أعدائكم ولا تهنوا ولا تحزنوا على مصابكم، فقد مسهم قرح مثله قبل ذلك[2].

وبهذا يتبين أنَّ الآية جاءت مسلية للمسلمين الذين أصيبوا في أحد، فأخبرهم الله ﷻ أنّ ما أصابهم قد أصيب به المشركون يوم بدر، وذاقوا بذلك أشد الآلام والعذاب، ولذلك جاء أمر الله لأهل الإيمان أن لا يحزنوا ولا يهنوا لأنَّهم الأعلون سنداً ومكانة.

المطلب الخامس
أسلوب التمني

أولاً: معنى التمني اصطلاحاً:

التمني: "هو طلب حصول شيء محبوب لا يرجى حصوله"[3].

والمتأمل في سورة آل عمران يجد أنَّها تحتوي على آيات كثيرة جاء فيها هذا الأسلوب.

ثانياً: أمثلة على أسلوب التمني في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: **﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾** [آل عمران:30].

تشير الآية إلى الساعة الحاسمة التي تحضر لكل نفس في يوم الإحضار ما عملت من خير وما عملت من سوء، فتتمنى في ذلك اليوم لو أنَّ بينها وبين ما عملت من سوء أمداً بعيداً، أي زماناً متأخراً، وأنه لم يحضر ذلك اليوم. فالضمير في قوله: **﴿وَبَيْنَهُ﴾** على هذا يعود إلى ما عملت من سوء، فحول التركيب، وجعل **﴿تَوَدُّ﴾** هو الناصب ليوم، ليستغني بكونه ظرفاً عن كونه فاعلاً أو يكون أصل الكلام: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير ومن شر محضراً، تود لو أنَّ بينها وبين ذلك اليوم أمداً بعيداً ليكون ضمير بينه عائداً إلى يوم أي تود أنَّه تأخر ولم يحضر كقوله تعالى: **﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾** [المنافقون: 10].

(1) انظر: اعراب القران: الدعاس (162/1).

(2)انظر: الوسيط طنطاوي(274/2).

(3)علوم البلاغة: المراغي (ص62).

2. قال تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران:69].

والود يأتي بمعنى التمني والمراد بأهل الكتاب هم اليهود خاصة، ولذلك جاء التعبير عنهم بطائفة من أهل الكتاب لئلا يتوهم أنهم أهل الكتاب الذين كانت المحاجة معهم في الآيات السابقة، والمراد بالطائفة هم جماعة من بني قريظة، والنضير، وقينقاع، دعوا عمار بن ياسر، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، إلى الرجوع إلى الشرك، وجملة **﴿لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾** مبينة لمضمون جملة **(ودت)** على طريقة الإجمال والتفصيل، فـ**(لو)** شرطية مستعملة في التمني مجازاً، لأنَّ التمني من لوازم الشرط الامتناعي، وجواب الشرط محذوف يدل عليه فعل **(ودت)** تقديره: لو يضلونكم لحصل مودودهم، والتحقيق أنَّ التمني عارض من عوارض **(لو)** الامتناعية في بعض المقامات. وليس هو معنى أصلياً من معاني **(لو)**(1).

المطلب السادس
أسلوب النداء

أولاً: معنى النداء اصطلاحاً:

1. **النداء:** هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه(2).
2. **وقيل النداء:** هو دعوة المخاطب بحرف نائب مناب فعل كأدعو ونحوه، وأدواته ثمان: يا والهمزة وأي وآي وآ وأيا وهيا ووا(3).

والمتأمل في سورة آل عمران يجد أنَّها تحتوي على آيات كثيرة جاء فيه التنبيه بهذا الأسلوب، وهذا ما سيتعرف عليه الباحث من خلال الآيات التالية.

ثانياً: أمثلة على أسلوب النداء في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران:65] يتضمن هذا النداء نهى أهل الكتاب عن الجدال بالباطل في شأن إبراهيم عليه السلام وهذا ديدن أهل الباطل المجادلة والعناد، فلا يسوغ لكم يا

---

(1) انظر التحرير والتنوير: ابن عاشور (278/3).

(2)علوم البلاغة: المراغي (ص81).

(3) علوم البلاغة، المبحث السادس في النداء، ج1، ص81.

معشر اليهود والنصارى أن تجادلوا في دين إبراهيم وشريعته فيدعي بعضكم أنَّه كان على الديانة اليهودية، ويدعي البعض الآخر أنَّه كان على الديانة النصرانية، فإنَّ التوراة والإنجيل ما نزلا إلا من بعده بأزمان طويلة، فكيف يكون يهوديا يدين بالتوراة مع أنَّها ما نزلت إلا من بعده، أو كيف يكون نصرانيا يدين بالإنجيل مع أنَّه ما نزل إلا من بعده، بآلاف السنين؟ إنَّ هذه المحاجة منكم في شأن إبراهيم ظاهرة البطلان واضحة الفساد[1].

2. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران:100]. وأسلوب النداء في قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نداء رباني لأهل الإيمان يحذرهم المولى سبحانه من طاعة اليهود والنصارى، ومن أطاعهم فإنَّهم سيردونه إلى الكفر بعد أن كان مؤمناً.

وقد جاء أسلوب النداء في هذه الآية تشريفاً للأوس والخزرج، وقد خاطبهم الله تعالى بنفسه بعد ما أمر رسوله ﷺ بخطاب أهل الكتاب إظهاراً لجلالة قدرهم وإشعاراً بأنَّهم هم الأحقاء بأن يخاطبهم الله تعالى ويكلمهم فلا حاجة إلى أن يقال المخاطب الرسول ﷺ بتقدير قل لهم.

والمراد من الفريق بعض غير معين أو هو شاس بن قيس اليهودي، وفي الاقتصار عليه مبالغة في التحذير ولهذا على ما قيل حذف متعلق الفعل، وقال بعضهم: هو على معنى إن تطيعوهم في قبول قولهم بإحياء الضغائن التي كانت بينكم في الجاهلية[2].

ويمكننا استلهام الدروس والعبر من هذا النداء:

1. عدم مقدرة اليهود التفريق بين المسلمين .
2. عصمة المسلمين.

---

(1) انظر التفسير الوسيط: طنطاوي (135/2).

(2)انظر: روح المعاني: الالوسي (151/3).

المطلب السابع
أسلوب الاستفهام

أولاً: معنى الاستفهام لغة واصطلاحاً:

1. **الاستفهام لغة:** يقصد به الاستخبار والاستعلام ما في ضمير المخاطب[1].
2. **الاستفهام اصطلاحاً:** الاستفهام هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به[2].

والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ أسلوب الاستفهام من أكثر الأساليب المستعملة في القرآن كما أن له أثرا بالغاً فيه، و يراد به فهم الشيء غير المعلوم، ولهذا الأسلوب أدوات متنوعة وأغراض مختلفة عن بعضها البعض مما جعل له أهمية بارزة في اللغة.

ثانياً: أمثلة على أسلوب الاستفهام في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران:15].

جاء السياق في هذه الآية ليوضح حقيقة ما عند الله سبحانه من نعيم مقيم لمن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة، ولقد جاء الاستفهام في هذه الآية للتقرير والتحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين ليدركوا عظمة ما عند الله وما أعده للمتقين خير من الدنيا وشهواتها، وافتتح الكلام بكلمة (**قُلْ**) للاهتمام بالمقول وتنبيه السامعين إلى أنَّ ما سيلقى عليهم أمر يهمهم ومما يقوى هذا التنبيه هنا: التعبير بقوله (**أَؤُنَبِّئُكُمْ**) لأن الإنباء معناه الخبر العظيم الشأن، والتعبير بقوله ذَٰلِكُمْ لاشتماله على الإشارة التي للبعيد الدالة على عظم شأن ما سيخبرهم به، والتعبير بقوله (**بِخَيْرٍ**) الذي يدل على الأفضلية، لأنَّ نعيم الآخرة خير محض ونعيم الدنيا مشوب بالشرور والأضرار.

2. ثم بين سبحانه المخبر عنه بعد أن مهد له بتلك التنبيهات التي تشوق إلى سماعه وتغرى بالاستجابة له فقال: ﴿**لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَأَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوانٌ مِنَ اللَّهِ**﴾.

(1)انظر: التعريفات: الجرجاني (ص:18).
(2)علوم البلاغة: المراغي (ص64).

هذه هي اللذائذ والمتع التي أعداها الله -تعالى- لمن اتقاه، أي أدى ما أمره به، وابتعد عما نهاه عنه، وأول هذه النعيم،: **﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهار﴾** أي بساتين تجرى من تحت أشجارها الأنهار، وفي هذه الجنات ما لا عين رأت، ولا أدن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وقوله **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** خبر مقدم، وقوله: **﴿جَنَّاتٌ﴾** مبتدأ مؤخر، وقوله: **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** في محل نصب على الحال من: **﴿جنات﴾**. وقوله: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ﴾** صفة لجنات، وعلى هذا يكون منتهى الاستفهام عند قوله: **﴿مِنْ ذَلِكُمْ﴾** وهذا هو المشهور عند العلماء، ومنهم من يجعل الاستفهام منتهيا عند قوله: **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** ثم يبتدأ فيقال: **﴿عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾**، ومنهم من يجعل الاستفهام منتهيا عند قوله تعالى: **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** ثم يبتدأ فيقال: **﴿جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾**(1).

وبهذا يمكن أن نلخص أنَّ ما أعده الله للمتقين من نعيم مقيم في دار كرامته خير من متاع الدنيا القليل الذي لا يدوم فهو مجرد شهوة عابرة، فعلى المسلم أن يختار الطريق الموصل إلى هذا النعيم، وذلك بترك المعاصي والذنوب والإقبال على الله سبحانه بالطاعات والقربات.

3. قال تعالى: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران: 65].

جاء أسلوب الاستفهام في هذه الآية توبيخا وتجهيلاً لأهل الكتاب وذلك لمجادلتهم في أمر إبراهيم عليه السلام، وقد زعم كلّ فريق منهم أنهم على دينه توصّلاً إلى أنّ الذي خالف دينهم لا يكون على دين إبراهيم كما يدّعي النبي محمد ﷺ فالمحاجة فرع عن المخالفة في الدعوى. وهذه المحاجة على طريق قياس المساواة في النفي، أو في محاجتهم النبي في دعواه أنه على دين إبراهيم، محاجة يقصدون منها إبطال مساواة دينِه لدين إبراهيم، بطريقة قياس المساواة في النفي أيضاً، فيجوز أن تكون هذه الجملة من مقول القول المأمور به الرسولُ ﷺ في قوله تعالى: **﴿قُلْ يا أهلَ الكتابِ تَعَالَوْا﴾** أي قل لهم: يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون، ويجوز أن يكون الاستئناف من كلام الله تعالى عَقِبَ أمرِه الرسولَ ﷺ بأنَّ يقول **﴿تعالَوا﴾** فيكون توجيه خطاب إلى أهل الكتاب مباشرة، ويكون جعل الجملة الأولى من مقول الرسول ﷺ دون هذه لأنّ الأولى من شُؤون الدعوة، وهذه من طرق المجاحّة، وإبطال قولهم، وذلك في الدرجة الثانيَة مِن الدعوة. والكلُ في النسبة إلى الله سواء(2).

---

(1)انطر: التفسير الوسيط: طنطاوي (51/2).

(2)انطر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (270/3).

وبهذا يتبين أنَّ دعوة أهل الكتاب في شأن إبراهيم ﷺ باطلة لا أساس لهم من الصحة، وقد جاء التعبير بالاستفهام توبيخاً وتجهيلاً لهم فيما زعموا، كيف لا والمولى سبحانه وتعالى برأه من اليهود والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما لا يشرك به سبحانه قال تعالى.

4. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:80]. يخبر الله سبحانه وتعالى من بالغوا في تعظيم الملائكة والأنبياء بأن لا يعبدوا أحداً غيره ولو كان نبياً مرسل أو ملك مقرب فالله ﷻ هو وحده الذي يفرد بالعبادة، وقد جاء الاستفهام في قوله تعالى: **﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾** للإنكار والنفي أي لا يمكن للرسل عليهم السلام أن يأمروا الناس بالكفر بالله بعد أن هداهم الله –تعالى– عن طريق هؤلاء الرسل إلى أن يكونوا مسلمين.

فالجملة الكريمة تأكيد بأبلغ وجه لنفى أن يأمر الرسل الناس بعبادة غير الله، وتنزيه لساحتهم عن أن يقولوا قولاً أو يأمروا بأمر يخالف ما تلقوه عن الله ﷻ من إفراده بالعبادة والطاعة والخضوع(1).

المطلب الثامن
أسلوب التهكم

أولاً: معنى التهكم لغة واصطلاحاً:

1. **التهكم لغة:** يكون من الهكمُ أي: التقَّحم والتعرض للناس بالشر(2).
2. **التهكم اصطلاحاً:** "هو كل كلام أخرج على ضد مقتضى الحال استهزاءً بالمخاطب"(3).

ثانياً: أمثلة على أسلوب التهكم في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:21].

والمتأمل في هذه الآية يلاحظ أنَّها جاءت في سياق الاستئناف لبيان بعض أحوال اليهود، المنافية إسلام الوجه لله سبحانه، وهم الذين قتلوا الأنبياء بغير حق، وقد توعدهم الله ﷻ بالعذاب الشديد على ما ارتكبوه من جرائم، وممن قتلوا زكريا ﷺ لأنه حاول تخليص ابنه يحيى من

(1) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (161/2).
(2) انظر: مجمل اللغة: ابن فارس (907/1).
(3) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: العلوي (163/3).

القتل، وقتلوا يحيى لإيمانه بعيسى عليه السلام، وقتلوا أنبياء كثر لأجل توبيخهم لهم على سوء أفعالهم، وزعموا أنَّهم قتلوا عيسى بن مريم عليه السلام، فهو معدود عليهم بإقرارهم وإن كانوا كاذبين فيه، وقد قتلوا كل هؤلاء عليهم السلام بمرأى ومسمع من بني إسرائيل، ولم يحموه، فكان هذا القتل معدوداً عليهم، وكم قتلوا ممن يأمرون بالقسط، وكل تلك الجرائم معدودة عليهم لأنهم رضوا بها، وألحوا في وقوعها، ولما كان قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾ مومئا إلى وجه بناء الخبر: وهو أنهم إنما قتلوهم لأنهم يأمرون بالقسط أي بالحق، فقد اكتفي بها في الدلالة على الشناعة، فلم تحتج إلى زيادة التشنيع، وجيء استعمال البشارة بمعنى أنذرهم تهكماً.

وحقيقة التبشير: الإخبار بما يظهر سرور المخبر (بفتح الباء) وهو هنا مستعمل في ضد حقيقته، إذ أريد به الإخبار بحصول العذاب، وهو موجب لحزن المخبرين، فهذا الاستعمال في الضد معدود عند علماء البيان من الاستعارة، ويسمونها تهكمية، لأنَّ تشبيه الضد بضده لا يروج في عقل أحد إلا على معنى التهكم[1].

فبعد هذه الهجمة المسعورة من هؤلاء القتلة الذين فعلوا الأعاجيب بحق الأنبياء الذين جاءوا لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور يتبين كيف كانت إرادة الله جل جلاله لهؤلاء وقد توعدهم بالعذاب الأليم على ما ارتكبوه من قتل وصد عن سبيل الله جل جلاله.

المطلب التاسع
أسلوب الخطاب

أولاً: معنى الخطاب اصطلاحاً:

1. عرفه ابن النجار[2] رحمه الله بقوله: "والخطاب قول يفهم منه من سمعه شيئاً مفيداً مطلقاً"[3].
2. والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها أسلوب الخطاب للإقناع والرد على شبهات المشككين.

ثانياً: أمثلة على أسلوب الخطاب في سورة آل عمران:

---

(1) انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور (206/3-207).

(2) هو أبو البقاء محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المصري الحنبلي الشهير بابن النجار، الفقيه الثبت الأصولي اللغوي من مصنفاته: منتهى الإرادات في جمع المقنع مع التنقيح وزيادات وغيره، ولد حوالي 898 هـ توفي سنة 972 هـ. انظر: الأعلام للزركلي (4/ 128)، ومعجم المؤلفين، ياقوت الحموي (6/ 128).

(3) انظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار (1/ 339).

1. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: 12].

يشير أسلوب الخطاب في هذه الآية إلى إنذار الله تعالى للكافرين بسوء منقلبهم، وبشارة المؤمنين بحسن مآلهم، ولقد جاء الأمر للنبي ﷺ بالرد على هؤلاء الكفار بخطاب التهديد والوعيد، لأنَّهم كانوا يتفاخرون عليه بأموالهم وبقوتهم، فكان من المناسب أن يتولى النبي ﷺ الرد عليهم، وأن يخبرهم بأسلوب الخطاب بأنَّ النَّصر سيكون له ولأصحابه، وأنَّ الدائرة ستدور عليهم وقوله: **﴿سَتُغْلَبُونَ﴾** إخبار عن أمر يحصل في المستقبل(1).

وإدخال السين في قوله تعالى: **﴿سَتُغْلَبُونَ﴾** لتأكيد القول، والذي كان موضع شك عند هؤلاء هو كون النبي ﷺ سيهزمهم في الدنيا، والحشر قد أكده سبحانه وتعالى في كثير من آي الكتاب. وفوق ذلك فإن السين مقدرة في تحشرون باعتبارها معطوفة على **﴿ستُغلَبون﴾** والعطف على نية تكرار العامل، ولقد أشار سبحانه إلى أن الحشر سيكون تجميعا للكفار يساقون بعده إلى نار جهنم، وجهنم هي الجزء العميق في النار؛ ولأنَّه بعد الحشر يكون السَّوق إلى نار جهنم(2).

وبهذا يتحقق وعد الله ﷻ لعباده لمؤمنين الذين آمنوا بربهم بالنصر والغلبة، والكافرون الذين غرتهم الحياة الدنيا حلت بهم الهزيمة والخسارة في الدنيا والآخرة لعتوهم ومجابهتهم لرسول الله ﷺ.

2. قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: 99].

وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب فيه دليل على قبح كفرهم بآيات الله وتوبيخ وتقريع لهم، لأنّ معرفتهم بالآيات أقوى وإن زعموا أنّهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما(3).

والخطاب للنبي ﷺ أن يسأل هؤلاء الذين كذبوا بما جاء به الحق، ما هو سبب هذا الإعراض والزيغ عن طريق الهدي وما هو الدليل على إعراضهم وكفرهم بآيات الله إذ إنَّ آيات الله تُزكي النفوس وترتقي بها أعلى الدرجات، وما عنادهم القائم على الحسد والكبر والاستعلاء

(1) انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (41/2).

(2) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (1126/3).

(3) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (30/2).

إلا ميلاً عن الحق مع معرفتهم أنّ ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق ولكنّهم غيّروا وبدّلوا وكذبوا على أنفسهم وسيُجزون بما عملوا والله شهيد على ما يعملون[1].

وجاء تكرار أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ﴾ للتوبيخ بلطف ولين، ولحملهم على الانضمام لدعوة الإسلام مع أصول كتبهم الصحيحة، والآية الأولى لكفهم عن الإضلال[2].

المطلب العاشر
أسلوب الإضراب

أولا: تعريف أسلوب الاضراب:

1. هو أسلوب استدراك يفيد تصحيح خطأ تصحيحا فوريا في نفس الجملة ويكون بإثبات الحكم للمعطوف بعد نفيه عن المعطوف عليه.
2. عرفه الجرجاني فقال "الإضراب هو الإعراض عن الشيء بعد الإقبال عليه نحو ضربت زيدا بل عمرا"[3].
3. وقال الفيروز آبادي: "بَلْ: حَرْفُ إضْرابٍ، إنْ تَلاها جُمْلَةٌ كان معنَى الإِضْرابِ إمَّا الإبْطالَ كـ﴿سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ﴾، وإمَّا الانْتِقَالَ من غَرَضٍ إلى غَرَضٍ آخَرَ: ﴿فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وإنْ تَلاها مُفْرَدٌ فهي عاطِفَةٌ"[4].

حرف الإضراب: بل هو عطف تفيد الإضراب إذا سبقتها جملة خبرية أو أمر وهو حرف عطف يفيد الاستدراك إذا سبقها نفي أو نهي.

ثانياً: مثال على أسلوب الإضراب في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران:150]. جيء في هذه الآية بحرف ﴿بَلِ﴾ للإضراب الانتقالي لأنَّه بعد تحذير الله ﷻ للمؤمنين من طاعة الكافرين وما يترتب عليها من مفاسد جاء ليذكرهم بما يحقق لهم السعادة والرفعة، والمولى جاء بمعنى النصرة والمعونة، وهذا اللفظ لا يدل على النصرة والعون فقط، وإنما

(1) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (230/4).
(2) انظر: التفسير المنير، الزحيلي (230/4).
(3) التعريفات، الجرجاني. (ص: 45).
(4) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ص: 969)

يدل على كمال المحبة والمودة والقرب، والنصرة تجيء ملازمة لهذه المعاني، لأنه من كان الله محباً له، كان سبحانه ناصراً له لا محالة.

والمعنى إنِّي أنهاكم أيها المؤمنون عن إطاعة الكافرين، لأنَّهم ليسوا أولياء لكم فتطيعوهم، بل الله ﷻ هو وليكم ومعينكم ومتولي أموركم وهو خير الناصرين، لأنه هو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فأخلصوا له العبادة والطاعة(1).

المطلب الحادي عشر
أسلوب المدح

1. **أولاً: المدح اصطلاحاً:** هو أسلوب نستخدمه عند استحساننا لصفة حميدة أو لأمر يستحق المدح والثناء.
2. والمتأمل في آيات الله يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها أسلوب المدح رفعةً وترغيباً لأهل الإيمان على اخلاصهم ومجاهدتهم لله سبحانه.

ثانياً: مثال على أسلوب المدح في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران:136]. يبين الله سبحانه الصفات السابقة لأهل الإيمان الذين ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس أنَّ جزاءهم من جنس أعمالهم والموصوفون بهذه الصفات يستحقون المغفرة من الله سبحانه، وتعدد هذه الصفات التي يستحقونها فيها إشارة لعلو مكانتهم وشرفهم عند الله ﷻ.

قال ابن عاشور: "وهذا الجزاء وهو المغفرة وعد من الله تعالى، تفضلا منه: بأن جعل الإقلاع عن المعاصي سببا في غفران ما سلف منها. وأما الجنات فإنَّما خلصت لهم لأجل المغفرة، ولو أخذوا بسالف ذنوبهم لما استحقوا الجنات فالكل فضل منه تعالى وقوله: ﴿**وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ تذييل لإنشاء مدح الجزاء. والمخصوص بالمدح محذوف تقديره هو. والواو للعطف على جملة جزاؤهم مغفرة فهو من عطف الإنشاء على الإخبار، وهو كثير في فصيح الكلام، وسمي الجزاء أجرا لأنه كان عن وعد للعامل بما عمل"(2).

وبهذا يتبين أنَّ جزاء الله ﷻ لأهل الإيمان بالجنة والمغفرة لا يحصل إلا بالإقلاع عن الذنوب والمعاصي، والإنفاق في السراء والضراء والعفو عن الناس، وبذلك حاز الموصوفون

(1) انظر: التفسير الوسيط: الطنطاوي (292/2).

(2) التحرير والتنوير: ابن عاشور (95/4).

بهذه الأوصاف على أفضل المراتب عند الله سبحانه، والله أسأل أن يرزقنا التخلق بهذه الأخلاق الفاضلة، وأن يجعلنا من العاملين لها.

المطلب الثاني عشر
أسلوب القسم

أولا: تعريف القسم لغة واصطلاحا:

1. **تعريف القسم لغة:** القسم: بفتح القاف والسين من القَسَامة، وهو الحَلِفُ واليمين، جمعه أقسام، قال ابن منظور: "وقد أقسم بالله واستقسمه به، وقاسمه: حلف له، وتقاسم القوم: تحالفوا، وفي التنزيل: قال تعالى ﴿**قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ...**﴾ [النمل:49]، وأقسمت: حلفت"[1]، ومن ذلك ألفاظ: القسم، والحلف، واليمين، ولكل منها أصل ترجع إليه.
2. **تعريف القسم اصطلاحاً:** ربط النفس بالامتناع عن شيء أو الإقدام عليه بمعنى معظم عند الحالف حقيقة أو اعتقاداً[2].

صيغة القسم وأركانه، ثلاثة وهي:

1. **فعل القسم** الذي تعدي بالباء ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**﴾ [الأنعام: 109].
2. **المقسم به:** المقسم به أمر جليل دائما نحو قوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ**﴾ في الآية السابقة، ولله تعالى وحده أن يقسم بما شاء أما نحن العباد فليس لنا أن نقسم بغير الله، فعن رسول الله ﷺ "**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**"[3]، والمعنى من حلف بغير الله معظماً له تعظيم الله فقد كفر أو أشرك وقد أقسم الله سبحانه في القرآن بذاته وبمخلوقاته، كقوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ [البروج: 1-3].
3. **جواب القسم (المقسم عليه):** هو الذي يراد توكيده وتحقيقه ولا سيما إذا كان من الأمور الغائبة الخفية إذا أقسم على ثبوتها كقوله تعالى ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**﴾ (الطارق: 11-13).
4. قد يُذكر جواب القسم وقد يُحذف أحيانا إذا دل عليه السياق كقوله تعالى: ﴿**لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (القيامة: 1-2)، فجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ**﴾ (القيامة:3)، والتقدير لتبعثن ولتحاسبن.

---

(1) لسان العرب: ابن منظور (12/ 481).

(2) انظر: التعريفات: الجرجاني (ص: 175).

(3) سنن الترمذي: الترمذي، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله(4/ 110) وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

والمتأمل في آيات الله ﷻ يلاحظ أنَّ القرآن الكريم يحتوي على آيات كثيرة جاء فيها أسلوب القسم والذي يبرز هذا المصطلح عظمة المقسم فيما يقسمه، فهو سبحانه عظيم ولا يقسم إلا بعظيم، وسيتناول الباحث في هذا المطلب الحديث عن هذا الأسلوب.

ثانياً: أمثلة على أسلوب القسم في سورة آل عمران:

1. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[آل عمران:123].

يبين الله سبحانه وتعالى بما امتن على عباده في يوم بدر، فقد نصرهم على أعدائهم، وقد كانوا في الحال ضعفاء في العدد والعدة بخلاف الأعداء فكانوا الأكثر عدداً وعدة والواو في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ**﴾ استئنافية، واللام واقعة في جواب القسم أي: والله لقد نصركم الله ببدر، لأنَّ من أحرف القسم الواو واللام وهذا القسم من رب العالمين يفيد التحقيق «وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ» مبتدأ وخبر والجملة في محل نصب حال «فَاتَّقُوا اللَّهَ» الفاء هي الفصيحة وفعل أمر والواو فاعله ولفظ الجلالة مفعوله والجملة جواب شرط غير جازم «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» لعل واسمها وجملة تشكرون خبرها وجملة لعلكم تعليلية لا محل لها من الإعراب[1].

وبهذا يتبين أنَّ في الآية تسلية للمؤمنبن بعد ما أصابهم في أحد، وفيها تذكير بنعمة الله عليهم، وإشارة في أنَّ مخالفتهم للنبي سبب فيما لحقهم من الخسارة.

2. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ **[آل عمران 155]**

قال السعدي: "يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم "أحد" وما الذي أوجب لهم الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان"[2].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾.

"الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاعلان العفو عنهم بعد ما تابوا واعتذروا واللام جواب قسم محذوف، وقد حرف تحقيق، وعفا الله فعل وفاعل وعنهم جار ومجرور متعلقان بعفا"[3].

---

(1) انظر: إعراب القرآن وبيانه: درويش (46/2).

(2) انظر: تيسير الكريم الرحمن : السعدي (ص:153).

(3) إعراب القرآن وبيانه: درويش (82/2).

قلت إن من زلت قدمه لضعف أو ما شابهه ، عليه أن يرجع إلى الله وأن لا ييأس من رحمة الله، لأنَّ الله ﷻ عفو كريم يعفو عمن تاب، ويحلم على من عصى، فلن يجد العبد أرحم من الله ﷻ.

3. قال تعالى: **﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾** [آل عمران: 157].

يقسم الله ﷻ بأنَّ من يموت أو يُقتل في سبيل الله ﷻ محتسباً ومبتغيا بذلك وجه الله فقد حاز على المغفرة والرحمة، والوعد بالمغفرة والرحمة مرتبة سامية ينالها المجاهد في سبيل الله ﷻ، والرحمة من الله سبحانه تتضمن الثواب والنعيم المقيم يوم القيامة، وذكر رحمة الله ﷻ في هذا المقام لكيلا تذهب نفوس المؤمنين حسرة على ما ماتوا منهم، فإنهم ليسوا في شقاء بل هم في نعيم، **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾** [آل عمران: 169].

ثم يبين الله سبحانه وتعالى بأنَّ مغفرته ورحمته خير مما يجمع المشركون من أموال وعقار وكل أغراض الدنيا[1].

وبهذا يتبين أنّ من الأساليب التي سلكها القرآن الكريم أسلوب القسم الذي جاء في هذه الآية مؤكداً ومرغباً ومرهباً، في حين أنَّه جاء في آيات أخرى لإقامة الحجة على الجاحدين والمشككين من الكافرين.

4. قال تعالى: **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران:186].**

وقوله: **﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾** جواب قسم محذوف أي : والله لتبلون أي لتختبرن . والمراد لتعاملن معاملة المختبر والممتحن ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق، ومن التمسك بمكارم الأخلاق، فإنَّ المصائب محك الرجال وقد جاء الإخبار بما سيقع عليهم من الابتلاء لتوطين أنفسهم وتحمل هذا البلاء عند وقوعه، وحتى لا ينصدموا عند تلقي الابتلاء، فإذا توقعوا حدوثه كان الأسهل والأيسر لهم عند وقوعه، فالمسلم سيمُر في مراحل حياته في اختبارات بما فيها المال والنفس، فابتدأ بالمال أولاً؛ لأنَّه الأهون من الابتلاء في النفس، ثم بينت الآيات الدرجة العليا من الابتلاء وهي ما يخص الدين وقد عبر عنها بقوله : **﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الذين أُوتُواْ**

(1) انظر: زهرة التفاسير: أبو زهرة (3/1471-1472).

الكتاب مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الذين أشركوا أَذًى كَثِيراً﴾ وإنَّما كانت الإصابة في الدين أعلى أنواع البلاء، لأنَّ المؤمن الصادق يهون عليه ماله ، وتهون عليه نفسه، ولكنَّه لا يهون عليه دينه، ويسهل عليه أن يتحمل الأذى في ماله ونفسه ولكن ليس من السهل عليه أن يؤذى فى دينه نسأل الله الثبات[1].

وجاء أسلوب القسم ليؤكد حقيقة الابتلاءات التي سيواجهها المسلم في حياته ليكون المسلم على صبر واحتساب عند تلقيه المصائب والابتلاءات .

---

(1)انظر: التفسير الوسيط: طنطاوي (ص:820).

الخاتمة

الخاتمة

من خلال الدراسة في هذا البحث توصل الباحث إلى العديد من النتائج والتوصيات وهي على النحو التالي:

أولاً نتائج البحث:

1. التعرف على التوجهات التربوية وأساليبها يعين القارئ على استلهام الدروس والعبر وتحقيق الفائدة.
2. الحكمة من إنزال الكتب لتكون هداية وامتحان للناس.
3. بيان حقيقة الحياة الدنيا وتحذير الكافرين من عذاب الله.
4. اختيار الله لمن يشاء من عباده لحمل الرسالة.
5. شكر نعمة الله على رسوله وعلى هذه الأمة وبيان بغي أهل الكتاب وإعراضهم عن الحق.
6. الإيمان بوجود الله تعالى والعمل بمقتضيات التوحيد ونهي المؤمنين عن موالاة الكافرين.
7. ارتباط الإيمان بالتقوى لا يكون إلا بالطاعة والتصديق لما جاء به الرسول.
8. العمل بمحكم الكتاب من واجبات المؤمن.
9. الهبات العطايا لا تكون إلا من الله وكثرة الأموال والأولاد لن تغني من عذاب الله.
10. الإسلام دين الله تعالى، وهو الدين الذي جاء به الرسل عليهم أفضل الصلاة التسليم جميعاً.
11. بيان حقيقة اليهود، وقبح أعمالهم فيما نسبوه إلى الله ﷻ.
12. الترغيب في التوبة وبيان حتمية الموت وحقيقته وأنَّه مصير كل نفس.
13. الوعيد بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة لمن كفر بالأنبياء.
14. الغلو وادعاء الألوهية والإشراك بالله تعالى كفر وضلال.
15. شرف وعزة المؤمن في الحياة الدنيا في نصرته لدين الله تعالى.
16. من فوائد القصة القرآنية أخذ العبرة والعظة والتسلية والتسرية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين.
17. تأكيد صلة المسلمين بإبراهيم ﵇ وأنَّه على الحنيفية السمحاء.
18. بيان كذب أهل الكتاب وافتراءهم وخيانتهم للعهود والمواثيق
19. بيان فضل ومكانة البيت الحرام.
20. بيان خيرية هذه الأمة وتفضيلها على غيرها من الأمم، وتحذيرها من أخطاء السابقين.

21.بيان فضل الاعتصام بحبل الله ﷻ، وأنَّه الهادي إلى الطريق المستقيم.

22.فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

23.تحذير الأمة من المنافقين وبيان خطرهم.

24.النصر على الأعداء والأمن من مكرهم يتحقق بالتقوى والصبر.

25.تسلية المؤمن وتعزيته في مصابه، والنهي عن الهوان والخوف من الموت.

26.صدق الإيمان بالله تعالى والشكر سبب من أسباب النصر.

27.النهي والتحذير من أكل الربا.

28.الحث على المسارعة لنيل المغفرة والفوز بالجنة.

29.الاعتبار من أحوال الأمم السابقة وعاقبة مصيرهم.

30.التأمل والتفكر في خلق الله تعالى من صفات أولوا الألباب.

31.الصبر والمصابرة والرباط الطريق الذي يوصل أهل الإيمان إلى الفلاح والنجاح.

ثانياً التوصيات

1. أوصي إخواني طلبة العلم الشرعي، وخاصة المهتمين في تفسير القرآن وعلومه، بالاهتمام بدراسة التوجيهات التربوية وأساليبها في ضوء سورة آل عمران.
2. أوصي نفسي وإخواني بتقوى الله والعمل لدين الله تعالى
3. أوصي العاملين في حقل الدعوة إلى الله بالاهتمام بالناشئة وتربيتهم على فهم القرآن وتدبر معانيه.
4. أوصي أولياء الأمور بمتابعة أبناءهم وتوجيههم لتعلم القرآن ومدارسته ليصبحوا جيلاً فريداً في علمه وتعلمه.
5. أوصي الدارسين للقرآن بوضع برنامج لدراسة التوجيهات التربوية للقرآن الكريم.

وفي الختام أساله تعالى أن يوفقني لمرضاته وأن يتقبل مني هذا الجهد الذي كان بتوفيق من الله تعالى، وأساله تعالى أن يوفقني لخدمة كتابه العزيز تلاوة وكتابة. آملاً أن تكون رسالتي قد ساهمت في خدمة الدارس للقرآن، وبفضل الله تعالى وتوفيقه بذلت كل هذا العمل للمساهمة في خدمة الدارسين للقرآن، فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان وأسأله تعالى العفو والغفران، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الّذي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحات

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: المراجع العربية:

1. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1394هـ - 1974م).
2. أصول الدعوة، د. عبدالكرين زيدان،(ط1) مؤسسة الرسالة.
3. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ط9، مؤسسة الرسالة، (1421هـ-2001م).
4. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : 1403هـ)، ط4، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص، سورية، دار اليمامة، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (1415هـ).
5. إلا من أتى الله بقلب سليم، د. سيد جمعة سلام،(ط1) مكتبة الايمان.
6. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (1418هـ).
7. إيضاح شواهد الإيضاح، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي (المتوفى: ق6هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمد بن حمود الدعجاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
8. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، دار نشر د. حسن عباس زكي، القاهرة، (1419هـ).
9. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، د. حسن عباس زكي، القاهرة.
10. التحرير والتنوير – تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، (1984هـ).

11. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، ط1، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم – بيروت، (1416هـ).
12. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
13. تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ) جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ط1، كلية الآداب، جامعة طنطا، (1420هـ - 1999م).
14. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم.
15. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (1990م).
16. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1419هـ).
17. تفسير القرآن العظيم، عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن بن قاسم العاصمي، ط1، دار القاسم للنشر، المملكة العربية السعودية (1430هـ - 2009م).
18. تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (المتوفى: 319هـ)، تقديم: أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، تحقيق: د. سعد بن محمد السعد، ط1، دار المآثر، المدينة النبوية، (1423هـ، 2002م).
19. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.
20. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (1426هـ - 2005م).
21. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، (1365هـ - 1946م).

22. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، ط1، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، (1365هـ - 1946م).
23. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط2، دار الفكر المعاصر، دمشق، (1418هـ).
24. التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ط2، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية (1430هـ - 2009م).
25. تفسير النسفي - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، ط1، دار الكلم الطيب، بيروت، (1419هـ - 1998م).
26. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، ط1، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (1393هـ = 1973م) - (1414هـ = 1993م).
27. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
28. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي ابن حسين مهدي، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان (1421هـ - 2001م).
29. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، ط1، عالم الكتب، 38 عبد الخالق ثروت، القاهرة، (1410هـ-1990م).
30. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، مؤسسة الرسالة، (1420هـ -2000م).
31. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته وعصره، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، ط1، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر، (1423هـ - 2002م).

32. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، (1420هـ - 2000م).
33. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية، القاهر، (1384هـ - 1964م).
34. حاشية كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي القحطاني الحنبلي النجدي (المتوفى: 1392هـ)، ط3، (1408هـ).
35. الرسالة المفيدة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: 1206هـ)، تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع، رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
36. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
37. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ)، دار النشر: دار الفكر العربي.
38. شرح الياقوت النفيس في مذهب ابن ادريس، الشريف محمد بن أحمد الشاطري المتوفى (سنة 1422هـ)، دار الأمة
39. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.
40. صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ط1، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (1422هـ).
41. صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

42. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ط1، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (1417هـ - 1997م).
43. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: 745هـ)، ط1، المكتبة العنصرية، بيروت.
44. علوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع"، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ).
45. فقه السنة، سيد سابق (المتوفى: 1420هـ)، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (1397هـ - 1977م).
46. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، ط17، دار الشروق، بيروت، القاهرة، (1412هـ).
47. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، (1417هـ - 1997م).
48. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، (1403هـ -1983م).
49. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ).
50. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، ط3، دار صادر - بيروت (1414هـ).
51. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
52. لطائف التفسير، أحمد عقيلان،(ط2) دار اليقين للنشر.
53. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، ط2، مؤسسة الرسالة - بيروت، (1406هـ - 1986م).

54. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، (1416هـ/1995م).
55. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت.
56. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ابن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، (1422هـ).
57. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، (1420هـ - 1999م).
58. مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط1، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، (1416هـ).
59. المدرسة النبوية العسكرية، محمد عبد القادر أبوفارس،(ط1) مطبعة الحلبي القاهرة.
60. مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا (المتوفى: 1316هـ)، محمد أمين الصناوي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1417هـ.
61. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي، ط1، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (1420هـ).
62. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت، (1408هـ - 1988م).
63. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، ط2، دار صادر، بيروت، (1995م).
64. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء ملتقى أهل الحديث، أعده للشاملة: أسامة بن الزهراء عضو في ملتقى أهل الحديث.
65. المعجم الوسيط المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة.

66. المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620هـ)، (د.ط). الناشر: مكتبة القاهرة، (1388هـ - 1968م).
67. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير للرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ط3، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (1420هـ).
68. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط1، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، (1412هـ).
69. المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنة من علماء الأزهر، ط18، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - مصر، طبع مؤسسة الأهرام، (1416هـ - 1995م).
70. النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، على الجارم ومصطفى أمين، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع.
71. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ.د: الشاهد البوشيخي، ط1، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، (1429هـ - 2008م).
72. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (ط1). دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، (1415هـ).

الفهارس العامة

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة			
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ	البقرة	147	22
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	البقرة	153	80
سورة آل عمران			
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ	آل عمران	4	15
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ	آل عمران	8	19
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ	آل عمران	12	83 114
قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ	آل عمران	12–13	83
قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ	آل عمران	13	84 103
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ	آل عمران	14	41
قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ	آل عمران	15	17

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ			110
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ	آل عمران	18	18
واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	آل عمران	19	13 18 103
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	آل عمران	21	112
إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ	آل عمران	22	55
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	آل عمران	23–25	56
لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ	آل عمران	24	56
فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	آل عمران	25	57
قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	آل عمران	26	58 98

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
58	27	آل عمران	تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
60 100	28	آل عمران	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
61 99	29	آل عمران	قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
61 107	30	آل عمران	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ
62	31	آل عمران	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
63	32	آل عمران	قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ
64	33	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِين
64	34	آل عمران	ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ
20 65	35	آل عمران	إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
65	36	آل عمران	فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
20 21 65	37	آل عمران	فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ
66	38–44	آل عمران	هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
			إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ
67	51-45	آل عمران	إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
42	51	آل عمران	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
21	59	آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
101	60	آل عمران	الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
99	64	آل عمران	قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ
108 111	65	آل عمران	يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
23	67	آل عمران	مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
24	68	آل عمران	إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
25 108	69	آل عمران	وَدَّتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَما يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ
25	70	آل عمران	يَا أَهْلَ الْكِتابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ
69	72	آل عمران	وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
70	73	آل عمران	قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله أَن يؤتى أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ
68	74	آل عمران	قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
71	75–77	آل عمران	وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ

رقم الصفحة	رقم الآية	اسم السورة	الآية
			الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
10 72	77	آل عمران	إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا
112	80	آل عمران	وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ
26	81	آل عمران	إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ
27	82	آل عمران	فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
27	83	آل عمران	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً
28	85-84	آل عمران	قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ عَلَيْنا وَما أُنْزِلَ عَلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَما أُوتِيَ مُوسى وَعِيسى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ
28	85	آل عمران	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ
29	86	آل عمران	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
29	89-86	آل عمران	كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ			
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ	آل عمران	87	30
خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العذاب وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ	آل عمران	88	30
لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ	آل عمران	92	43 44
كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ	آل عمران	93–95	45
إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ	آل عمران	96	47
إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ	آل عمران	96–97	47 48
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ	آل عمران	98	99
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ	آل عمران	99	30 114
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ	آل عمران	100	109

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	آل عمران	101	73
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ	آل عمران	102	73
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ	آل عمران	103	74
وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ	آل عمران	104	76
كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ	آل عمران	110	75
لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ	آل عمران	113-115	31
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	آل عمران	116-117	33
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي	آل عمران	118-120	33

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ			
هَاأَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط	آل عمران	119-120	34
إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ	آل عمران	120	35
وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	آل عمران	121	84
إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	آل عمران	122	10 85
وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ	آل عمران	123-126	85

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ			
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ	آل عمران	128	10
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ	آل عمران	130-131	50
وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ	آل عمران	133	16
أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِين	آل عمران	136	116
قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ	آل عمران	137	77
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ	آل عمران	139	102
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ	آل عمران	142	87
وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	آل عمران	143	87
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ	آل عمران	145	89
وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ	آل عمران	146	81
وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي	آل عمران	146-148	89

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ			
يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ	آل عمران	149	90
بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ	آل عمران	150	90 115
سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ	آل عمران	151	91
وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِين	آل عمران	152	91
إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ	آل عمران	153	92
إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ	آل عمران	155	95 104
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	آل عمران	156	93 101
وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ	آل عمران	157	93 120

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ	آل عمران	158	94
فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ	آل عمران	159	94
إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ	آل عمران	160	96
لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ	آل عمران	164	53
أَوَلَمَّا أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْها قُلْتُمْ أَنَّى هذا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	آل عمران	165	104
وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ	آل عمران	169	120
لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ	آل عمران	181-184	36
الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ	آل عمران	183	37
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا	آل عمران	185	38

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
مَتَاعُ الْغُرُورِ			
لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُور	آل عمران	186	39 40
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	آل عمران	190	78
خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.	آل عمران	199	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ	آل عمران	200	80 80
سورة النساء			
يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا	النساء	174	52
سورة الأنعام			
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ	الأنعام	109	118
سورة الأعراف			
هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ	الأعراف	203	52
سورة الأنفال			
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ	الأنفال	46	90
هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم	الأنفال	62	58
سورة يونس			

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	يونس	25	16
سورة يوسف			
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ	يوسف	111	77
سورة إبراهيم			
الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ	إبراهيم	1	52
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ	إبراهيم	37	48
سورة النحل			
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ	النحل	36	55
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ	النحل	89	52
إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ	النحل	106	101
سورة الكهف			
إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا	الكهف	7	42
سورة مريم			
قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا	مريم	19	68
وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ	مريم	21	22
وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	مريم	36	42
سورة طه			
اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى	طه	43-44	75

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء			
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ	الأنبياء	10	52
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ	الأنبياء	85	80
سورة النور			
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	النور	55	58
سورة النمل			
قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ...	النمل	49	118
سورة لقمان			
إِنَّ الشِرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمْ	لقمان	13	19
سورة السجدة			
فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن	السجدة	17	16
سورة ص			
قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ	ص	35	19
أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ	ص	9	19
سورة الزمر			
إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	الزمر	10	80
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ	الزمر	73	17
سورة فصلت			
وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ	فصلت	17	29
سورة الشورى			
وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ	الشورى	38	95

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا	الشورى	7	47
سورة الزخرف			
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ	الزخرف	44	52
إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ	الزخرف	64	42
سورة الفتح			
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	الفتح	23	77
وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا	الفتح	24	47
سورة الذاريات			
خطأ! لم يتم العثور على مصدر المرجع.	الذاريات	56	خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. 42
سورة الرحمن			
كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ. وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ	الرحمن	26–27	38
سورة المنافقون			
رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ	المنافقون	10	107
سورة التغابن			
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ	التغابن	14	20
سورة المزمل			

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا	المزمل	20	45
سورة القيامة			
لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ	القيامة	1–2	118
أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ	القيامة	3	118
سورة البروج			
وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ	البروج	1–3	118
سورة الطارق			
وَالسّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ	الطارق	11–13	118
سورة الأعلى			
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى	الأعلى	13	16
سورة التين			
وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ	التين	3	47

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	التخريج	الصفحة
عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان..."		
" عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر،..."	صحيح مسلم	81
"على كل مسلم صدقة" قالوا: فإن لم يجد؟ قال: (فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق)..."	صحيح البخاري	76
"فينا نزلت: (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا...) الآية، قال: نحن الطائفتان..."	صحيح البخاري	85
"قال لقينا المشركين يومئذ وأجلس النبي جيشا من الرماة وأمّرَ عليهم عبد الله وقال لا تبرحوا إن رأيتمونا..."	صحيح البخاري	92
"كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ،..."	صحيح البخاري	44
"ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يمجسانه أو ينصِّرانه..."	صحيح البخاري	43
"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ"	سنن الترمذي	118
"يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به،..."	صحيح مسلم	11

فهرس الأعلام